إفـــتراء
المستشرقين على الإسلام

أ.د / أحمد مصطفى على

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذى أنزل القرآن وتعهد بحفظه قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] وأكمل لنا ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام دينا قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2].

والصلاة والسلام على المبعوث للناس كافة بشيراً ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ورحمة للعالمين صاحب الرسالة الخاتمة، والشافعة العظمى، والحوض المورود والمقام المحمود سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه والأنبياء المرسلين أجمعين إلى يوم الدين ..... وبعد .

تمهيد :

إن الاستشراق هو حرب الكلمة التى شنها الغرب المسيحى على الشرق الإسلامى ومازال يستخدمها ضدنا حتى الآن، وإن لبس أثواباً مختلفة على مر العصور تحت شعار الموضوعية والمنهجية كى يحقق أهدافه .

إذ أنه بعد فشل الصليبيين فى حملاتهم المتوالية على الشرق الإسلامى والتى استمرت زهاء قرنين من الزمان ، أيقن الصليبيون أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم إلى المقاومة والجهاد وبذل النفس فى سبيل الله لحماية ديار الإسلام وصون الحرمات والأعراض وأيقن الصليبيون أنه لم يعد فى وسع الكنيسة أو فرنسا مواجهة الإسلام وأن هذا العبء لابد أن تقوم به أوربا كلها لتضيق الخناق على الإسلام ثم تقضى عليه، وذلك عن طريق

---

(1) سورة الحجر آية ٩.

(2) سورة المائدة آية ٣.

تحويل التفكير الإسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى ، بأن يقوم العلماء الأوربيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به الفكر الإسلامى، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح الى ميدان الفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين.

وقد بدأت حركة الغزو الفكرى عن طريق ترجمة القران الكريم والسنة النبوية وعلوم المسلمين للبحث عن الثغرات التى يدخلون منها إلي إثارة الشبهات وقد أعلنوا صراحة أن الإسلام هو عدوهم الأول، وأن أكبر غاية لهم هو ضرب وهدم قواعده، وأن القضاء على الإسلام وتحويل المسلمين عن دينهم لا يمكن أن يأتى عن طريق الغزو المسلح بل عن طريق التشكيك فى عقيدتهم وشريعتهم.

وقد صارت قاعدتهم التى إرتكزوا عليها "إذا أرهبك عدوك فأفسد فكره ينتحر به ومن ثم تستعبده" وانطلقت الصيحة المعنوية نقل المعركة من ساحة الحرب إلى ميدان الفكر والمعرفة وأغاروا على حضارة الإسلام وثقافته سعيا وراء هدم عقائده وأفكاره ونشر الأفكار الغربية بديلا عنها وذلك عن طريق الاستشراق.

فالاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية التى تقدم المدد للتنصير والاستعمار، والعمالة الثقافية، ويغذى عملية الصراع الفكرى، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامى وإخضاع شعوبه.

فالاستشراق هو المنجم، والمصنع الفكرى، والذى يمد المنصرين والمستعمرين، وأدوات الغزو الفكرى بالمواد التى يسوقونها فى العالم الإسلامى لتحطيم عقيدته وتخريب عالم أفكاره، والقضاء على شخصيته الحضارية والتاريخية[1].

(1) مقدمة كتاب الأمة – عمر عبيد حسنة رقم ٢٧ ص ٢٢.

وبجانب كل هذا فإن الاستشراق يذهب إلى محاولة إلغاء النسق الإسلامى ومحاولة تشكيل العقل المسلم وفق النسق الأوربى، وإنجاب تلامذه من أبناء العالم الإسلامى لممارسة هذا الدور والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والإعلام، والتربية فى العالم الإسلامى لجعل الفكر الغربى والنسق الغربى هو المنهج والمرجع والمصدر والكتاب[1].

ولابد أن نعترف بأن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا، ووجودة نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى من معرفة ذاته فالاستشراق فى حد ذاته كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعى العالم الإسلامى ذاته، وينهض من عجزه، ويلقى على كاهله أثقال التخلف الفكرى والحضارى يومها سيجد الاستشراق نفسه فى أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام ، ويومها لن يجد الجمهور الذى يخاطبه، لا فى أوروبا ولا فى العالم الإسلامى، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا - أى كان هذا - أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا[2].

وقد لا يكون المرء مجانب للصواب، إذا قال: إننا إذا لم نتصدى للاستشراق بكل قوة، فسوف نتعرض للإنسلاخ والزوبان، لا محالة، والمعركة بين الإستشراق والإسلام معركة فكرية هائلة، جند لها المستشرقون كل المعاول التى تحاول أن تهزم المسلمين وتبعدهم عن إسلامهم.

ومواجهة التحديات الاستشراقية ضرورة لابد منها إذا كنا نريد الحفاظ على عقائدنا التى جاء بها الإسلام، وعلى ذاتيتنا وشخصيتنا.

---

(1) المرجع السابق ص ١٦.

(2) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى - د/ محمود حمدى زقزوق - ص ١٢٧ - ١٢٨ - كتاب الأمة دولة قطر ١٤٠٤هـ

المبحث الأول

تعريف الاستشراق فى اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف الاستشراق فى اللغة:

إن كلمة الاستشراق مشتقة من مادة "شرق" يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت[1]. وبابه نصر ودخل[2] وشرق أخذ فى ناحية المشرق، والشرق جهة شروق الشمس، والشرق الموضع الذى تشرق فيه الشمس من الأرض[3].

وتشرقً أخذ فى ناحية الشرق وهى الجهة التى تشرق منها الشمس واطلقت على البلاد الإسلامية فى شرقى الجزيرة العربية[4].

وإن كلمة الاستشراق التى نبحث عن مفهومها اللغوى من الكلمات الحديثة التى ليس لها مدلول فى معاجم اللغة العربية، ولكن هذا لا ينفى تحديد معناها حيث أن هذه الكلمة تدل على الاهتمام بما يحويه الشرق من علوم ومعارف وسمات حضارية وقد ورد هذا المعنى فى بعض المصادر اللغوية الحديثة وهو "استشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم يقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنجة[5].

تعريف الاستشراق فى الاصطلاح:

وردت كلمة الاستشراق بمعان ودلالات جرى بها العرف الاجتماعي فى الشرق والغرب، لذلك إذا أردنا أن نحدد مفهوم كلمة الاستشراق لابد من النظر إلى مدلول الكلمة عند علماء الغرب وعلماء العرب.

---

(1) مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط ج1 ص٤٩٩ ، ط : الثالثة :١٩٨٥.

(2) مختار الصحاح – الرازى ص٣٣٦ ط : دار القلم بيروت – لبنان

(3) لسان العرب مادة شرق ٢٢٤/٦ ، والقاموس المحيط ٢٤٩/٣.

(4) المعجم الوسيط ٤٩٩/١ ط الثانية مطابع الأوفست ١٩٨٥ م

(5) مجمع متن اللغة – أحمد رضا ج٣ ص٣١١ ط بيروت ١٩٥٨ م

رأى علماء الشرق:

يقول "بارت" وهو عالم غربى ألمانى، الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر فى الاسم الذى اطلق عليه كلمة استشراق مشتقة من كلمة شرق، وكلمة شرق تعنى مشرق الشمس.

وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقى، والأمر إلى هذا الحد واضح كله ولكن ما معنى كلمة شرق فى هذا المقام بالذات؟.

الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير فى معناه فالشرق بالمقياس إلينا نحن الألمان يعنى العالم السلافى، العالم الواقع خلف الستار الحديدى وهذه المنطقة يختص بها الاستشراق، فمكانه جغرافيا فى الناحية الشرقية بالمقياس إلينا، والمصطلح يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة إلى الوقت الذى كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل فى وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه، فلما انتقل مركز نقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقى مصطلح الشرق رغم ذلك دالا على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط.

كذلك تعرضت لفظة شرق فى أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيير آخر فى معناها وإذا شئنا دقة أكثر تعرضت لإتساع فى نطاق مدلولها.

فقد انطلق الفاتحون فى ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربية لا ناحية الشمال والشرق فحسب بل ناحية الغرب كذلك وزحفوا فى غضون عشرات من السنين إلى مصر وشمال إفريقيا حتى بلغوا المحيط الأطلسى واستوطن الإسلام قطاع بلدان شمال إفريقيا دينا وتعرب السكان تدريجيا وهم الأقباط فى مصر والبربر غربها ومنذ ذلك

الحين تعتبر مصر وبلدان شمال إفريقيا الذى يسمى بالمغرب أى بلد غروب الشمس، وإن كان اسم - استشراق - يفترض أنه يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها[1].

يعتمد بارت فى تحديده لمفهوم الشرق على الرقعة الجغرافية التى انتشر فيها الإسلام وليس على المفهوم الجغرافى، فهو قد أخرج من تعريف الجغرافيين دول شرق أوروبا .....، وأدخل فيه ما يعد من الشمال والجنوب ..... الخ

وعلى ذلك يكون مفهوم الشرق ليس جغرافيا إنما جرى على العرف الاستشراق وهو دول الإسلام ، فهو شرق - الإسلام - فالإسلام دائما هو الشرق.[2]

ويعرف "جويدى" علم الاستشراق قائلا: هو علم من علوم الروح يتعمق فى درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضاراتها ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية أن يسمى كما سميناه درس الروح الإنسانى من وجهة نظر الشرق. لأن إظهار قوى الروح واستعدادها يختلف باختلاف الزمان والمكان.[3].

تلك هو تعريف الاستشراق فى نظر علماء الغرب أما تعريف المستشرق فهو:

قد جاء فى قاموس اكسفورد أن المستشرق هو "من تبحر فى لغات الشرق وآدابه"[4].

---

(1) الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية ص١١ ترجمة مصطفى ماهر ، ط : دار الكتاب العربى ١٩٦٧م ، وانظر : الاستشراق والخلفية التاريخية للصراع الحضارى د/ محمود حمدى زقزوق ص١٨ كتاب الأمة ، وانظر : الاستشراق فى ميدان الفكر الإسلامى د/ محمد إبراهيم الفيومى ص١٢- ١٣ ، ط القاهرة ١٩٩٤م.

(2) الاستشراق فى ميدان الفكر الإسلامى د/ محمد إبراهيم الفيومى ص١٣ ، ط : القاهرة ١٩٩٤.

(3) جويدى علم الشرق وتاريخ العمران ص ١٤ ط الزهراء نقلا عن فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر د/ محمد سما بلوفتش ص ١٤ ط دار المعارف

(4) إبرى المستشرقين البريطانيون ص٧- ٨ بترجمة محمد الدسوقى التعهسى

ويقول "ديتريش"[1] أن المستشرق هو ذلك الباحث الذى يحاول دراسة الشرق وتفهمه، ولن يتأتى له الوصول إلى نتائج سليمة فى هذا المضمار ما لم يتقن لغات الشرق[2].

يتضح مما سبق أن مفهوم الاستشراق لدى علماء الغرب هو: علم يختص بدراسة جميع بلاد المسلمين من عقائد وأفكار وعلوم ومعارف وآداب ولغات وفلسفات وحضارات وغير ذلك مما لدى الشرق وأن أهم ما اعتنوا به فى أبحاثهم هو الدين الإسلامى واللغة العربية.

وأن المستشرق هو من تبحر فى جميع علوم الشرق بمختلف معارفه من لغة وأدب وتاريخ وحضارة وفلسفة وعقائد.

ثانياً: رأى علماء العرب:

يرى الأستاذ "أحمد حسن الزيات" أن الاستشراق هو: دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه فى العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين، ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم إذ بينهما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم، وكان الغرب من بحره إلى محيطه غارقا فى غياهب الجهل الكثيف والبربرية الجموح.[3]

---

(1) مستشار ألمانى ولد ببرلين وتعلم العربية فى الشرق وعين أستاذ العربية فى جامعة برلين

(2) الدراسات العربية فى ألمانيا – ديتريش – ص٧، ط: دار النشر ١٩٦٢م وانظر المستشرقون – تجيب الحقيقى

(3) تاريخ الأدب العربى – احمد حسن الزيات ص٥١٢، ط : دار النهضة.

ويعرف الأستاذ "محمد عبد الغنى حسن" الاستشراق فيقول: هو اشتغل غير الشرقيين بدراسة لغات الشرق وحضاراته وفلسفاته وأديانه وروحانياته وأثر ذلك فى بناء التطور الحضارى للعالم كله[1].

ويقول: مالك بن نبى "إننا فعنى بالمستشرقين الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامى وعن الحضارة الإسلامية[2].

ويعرف "حسين الهراوى" الاستشراق بقوله: وعندى أن الاستشراق مهنه وحرفه كالطب والهندسة والمحاماه.

ولا شك أن هذا التعريف يصيب الاستشراق فى الصميم لأن عداوتهم للإسلام بالغة السوء ..... وأما وصفه بالحرفة فيعنى عدم الموضوعية، ويعنى التحيز والاتهام المسبق كالمحاماه[3].

وأما دكتور شكرى النجار فيعرف الاستشراق ويحدده بثلاثة مفاهيم تبين زوايا الاستشراق وتعبر عن أبعاده التاريخية والمنهجية إذ يرد ظهورها جميعا إلى القرن التاسع عشر، وهو العصر الخصيب للاستشراق والاستعمار والتبشير وهذه المفاهيم هى:

المفهوم الأول: المعنى الأكاديمي

أنه يطلق على كل من يتخصص فى أحد فروع المعرفة المتصلة بالشرق من قريب أو من بعيد، والاستشراق بالمعنى العلمى الأكاديمي بدأ فى الاختفاء.

---

(1) المستشرقون والآداب العربية ج1 ص٤٠ ، ط : الهلال وانظر فلسفة الاستشراق د/ أحمد سما بلو فتش ص٢٧ .

(2) إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث مالك بن نبى ص٥ ط بيروت

(3) نحن والمستشرقون – مالك بن نبى – المعرفة – يوليو ١٩٣٢ حسين الهراوى – نقلا من الاستشراق فى ميدان الفكر الإسلامى – د/ محمد إبراهيم الفيومى ص١٦.

المفهوم الثانى: المعنى العرقى

وهو اعتبار الاستشراق أسلوبا للتفكير يرتكز على التميز الثقافى والعقلى والتاريخى والعرقى بين الشرق والغرب .....

وهذه العرقية كانت من أهم موضوعات الاستشراق ومدخلا سهلا للاستعمار واستغلال الشعوب - وباسم التميز العرقى أعلن الغرب وصايته على الشرق واستباح حرماته واستغل ثرواته.

المفهوم الثالث: مطلب استعمارى

الاستشراق هو الأسلوب لفهم الشرق من أجل السيطرة عليه ، ومحاولة إعادة تنظيمه وتوجيهه والتحكم فيه[1].

نكتفى بهذا القدر من تعريف الاستشراق عند علماء العرب ثم نعرف من هو المستشرق عندهم.

تعريف المستشرق عند علماء العرب:

يقول الأستاذ "على حسن الخربوطلى" أن المستشرق هو عالم غربى يهتم بالدراسات الشرقية[2] ويرى الأستاذ "على العنانى" أن المستشرق هو المشتغل بالعقليات الشرقية سواء كانت سامية أو غير سامية ولكن هذه الكلمة فى اصطلاح العلماء

---

(1) لم الاهتمام بالاستشراق - د/ شكرى النجار - مجلة الإنماء العربى عدد ٣١ - الاستشراق التاريخ المنهج ، الصورة - نقلا من الاستشراق فى ميدان الفكر الإسلامى د/ محمد إبراهيم الفيومى ص١٧ - ١٩.

(2) المستشرقون والتاريخ الإسلامى على حسن الخربوطلى ص ١٥ - ١٦ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

العلماء والأدباء تطلق على المشتغل بالعقليات السامية خاصة ويتبع ذلك البحث فى اللغات العامية[1].

ويقولا لأستاذ "عبد الرحمن حبنكه" إن المستشرق : اصطلاح أو مفهوم عام يشمل كل عالم غربى وأحيانا عربى يتجنس بالجنسيات الأجنبية ويشتغل فى ميادين الدراسات الشرقية المختلفة شعوبهم وتاريخهم وأديانهم ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية وبلدانهم وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات وحضارات وكل ما يتعلق بهم[2].

ولكننا لا نقصد هنا هذا المفهوم الواسع لأنه يحتاج إلى المؤلفات لبحث التغيرات الحضارية إلى طرأت على مفهوم الشرق فى مختلف العصور، وإنما كل ما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذى يعنى الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامى "فى لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته".

وهذا المعنى هو الذى ينصرف إليه الذهن فى عالمنا العربى الإسلامى عندما يطلق لفظ استشراق أو مستشرق وهو الشائع أيضا فى كتابات المستشرقين المعنيين[3].

نخلص من كل هذا أن الاستشراق هو علم له أصوله ومقوماته وخططه وأهدافه وأنه المشتغل ببلاد الإسلام، وأن المستشرق هو ذلك العالم الغربى الذى اشتغل بالدراسات الشرقية، وخاصة فيما يتعلق بالإسلام من عقائد وأخلاق وآداب وتاريخ وحضارة وذلك لخدمة الدول الأوربية بقصد النيل من الإسلام.

---

(1) المستشرقون والآداب العربية / على العنانى / مجلة الهلال أغسطس ٤٠ عام ١٩٣٢ ط القاهرة.

(2) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها - التبشير الاستشراق الاستعمار - عبد الرحمن حبنكه ص ١١٨.

(3) الاستشراق والخلفية الفكرية د/ محمود حمدى زقزوق ص ١٨.

المبحث الثاني

تاريخ الاستشراق

إن حركة الاستشراق ليست وليدة العصر وإنما هى عملية قديمة عرفتها الحياة الثقافية منذ عهد بعيد لذلك اختلف الباحثون فى تحديد بداية الاستشراق ونشأته.

فيرى بعض الباحثين أن البداية الحقيقة للاستشراق كانت مع الحروب الصليبية التى دامت قرابة قرنين من الزمان (١٠٩٨ - ١٢٩٥) حيث بدأ الاحتكاك السياسي والدينى بين الإسلام والصليبية الغربية الغازية واستحكم العداء بين المسلمين والغرب الصليبى أيام نور الدين زكى وصلاح الدين الأيوبى والملك العادل أثر الهزائم المتكررة التى ألحقها هؤلاء القادة العظام بالصليبيين، وحين فشلت هذه الحروب اتجهت أنظار الاستعمار الغربى إلى حركة الاستشراق[1].

لأن الحروب الصليبية لم تؤت ثمارها فى القضاء على الإسلام وأهله، فإن الغرب ظل يضمر العداوة ويدبر المؤامرات للتشكيك فى دين الإسلام ومن هنا "اندفعت رغبات المستشرقين الجامحة فى الكتابة ضد الإسلام والطعن فيه بروح الغيظ والتشفى والنيل من مكانه رسوله - صلى الله عليه وسلم ، دون سند من الحقيقة أو الواقع[2].

ويرى البعض أن الغرب النصرانى يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمى بصدور مجمع "فينا" الكنسى عام ١٣١٢ م بإنشاء عدد من كراسى اللغة العربية فى عدد من الجامعات الأوربية[3].

---

(١) الاستشراق بين الموضوعية والانفعالية / قاسم السمرانى ص٢٠.

(٢) التبشير والاستشراق أحفاد وحملات / محمد عزت الطهطاوى ص٤٧ ط الزهراء.

(٣) الاستشراق - إدوارد سعيد ص٨٠

ولكن الإشارة هنا إلى "الاستشراق الرسمي" تدل على انه كان هناك استشراق غير رسمي قبل هذا التاريخ.

ويرى فريق آخر أنه نشأ فى القرن الثانى عشر الميلادى ففى عام ٥٢٨ هـ — ١١٤٣ م تمت ترجمة معانى القران لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب "بتروس فينيرا" رئيسي دير كلونى[١].

وكان "بتروس" من أبطال التعصب ضد الإسلام والمسلمين، فكان يلوم المسيحيين على مهادنتهم للإسلام المسلمين ويشحنهم على العنف عليهم، وعملا بالمبدأ الذى رآه قام بحركة نشيطه لترجمة وتشويه القران أولا ثم الرد عليه وتفنيد ما يترجم منه ثانية، وقد قام بأربع ترجمات قرآنية ومقدمة وكتب أيضا ترجمة النبى - صلى الله عليه وسلم وتاريخ الخلفاء حتى عهد يزيد بن معاوية ومقتل الحسين.

وكان الغرض من هذا العمل هو تنفير المسيحيين والمسلمين على السواء من الإسلام ونبى الإسلام وفى نفس الوقت أيضا ألف أول قاموس عربى لاتينى بتوجيه من الأب فيزابل[٢].

ويرى بعض الباحثين أن ظهور الاستشراق يعود إلى قيام الدولة الإسلامية فى الأندلس "أسبانيا" وذلك أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى أبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا فى مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات ويذكر من هؤلاء الرهبان، الراهب الفرنسى "جريرت" الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه فى معاهد الأندلس وعودته لبلاده و "بطرس المحترم - ١٠٩٢-١١٥٦ م

---

(١) أضواء على الاستشراق د/ محمد عبد الفتاح عليان ص٥٥ ، ط دار البحوث العلمية.

(٢) صور استشراقية د/ عبد الجليل شلبى ص٢٦ ط مجمع البحوث العلمية.

" و " جيرار دى كريمون — ١١١٤م — ١١٨٧م" وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم.

ثم أسست المعاهد للدراسات العربية أمثال مدرسة "باروى" العربية، وأخذت الأديرة والمدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية، وهى لغة العلم فى جميع بلاد أوربا يومئذ، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسات قرابة ستة قرون[1].

وقد ساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية فى نهاية العصر الوسيط تلك الصلاة السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التى اتسعت رقعتها حينذاك وقد كان للروابط الاقتصادية لكل من أسبانيا وإيطاليا مع كل من تركيا وسوريا ومصر أثر كبير فى دفع حركة الدراسات الاستشراقية[2].

وفى القرن السادس عشر الميلادى أدت النزعة الإنسانية فى عصر النهضة الأوربية إلى دراسات أكثر موضوعية من ذى قبل، ومن ناحية أخرى ساندت البابوية الرومانية فى دراسة لغات الشرق من اجل مصلحة التبشير، وفى عام ١٥٣٩م تم إنشاء أول كرسى للغة العربية فى "الكوليج دى فرانس" فى باريس وشغل هذا الكرسى " جيليوم بوستل (ت ١٥٨١م) الذى يُعد أول المستشرقين الحقيقيين، وقد أسهم كثيرا فى إثراء دراسة اللغات والشعوب الشرقية فى أوربا، وجمع فى الوقت نفسه وهو فى الشرق مجموعة هامة من المخطوطات[3].

---

(١) المستشرقون مالهم وما عليهم د/ مصطفى السباعى ص١٣ / ١٤ المكتب الثقافى بيروت.

(٢) الإسلام والغرب د/ محمود حمدى زقزوق ص١٣.

(٣) الإسلام والغرب د/ محمود حمدى زقزوق ص١٣..

وفى القرن السابع عشر بدأ المستشرقون فى جمع المخطوطات الإسلامية وأنشئت كراسى للغة العربية فى أماكن مختلفة، ومما هو جدير بالذكر أن قرار إنشاء كرسى اللغة العربى فى جامعة كمبردج ١٦٣٦م قد نص صراحة على خدمة هدفين أحدهما تجارى والآخر تبشيرى وهو توسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى المسيحية[١].

وإذا كان الاستشراق - بناء على ذلك - يمتد إلى ما يقرب من ألف عام مضت فإن مفهوم الاستشراق لم يظهر فى أوربا إلا فلا القرن الثامن عشر.

فقد ظهر أولا فى إنجلترا مفهوم الاستشراق فى عام ١٧٧٩م وسرعان ما ظهر بعد ذلك فى فرنسا فى عام ١٧٩٩ م، وادرج مفهوم الاستشراق فى قاموس الأكاديمية الفرنسية عام ١٨٣٨م[٢].

وهناك كثير من المستشرقين وبوجه خاص فى ألمانيا والنمسا بدأوا طريقهم فى مجال الاستشراق مترجمين أو قناصل لدولهم فى الشرق الأوسط مثل: "جوزيف فون هامر برجشتال" (ت ١٨٥٦م) مؤسس أول مجلة استشراقية متخصصة فى أوربا وهى مجلة " ينابيع الحكمة " التى صدرت فى فيينا " فى عام ١٨٠٩ م -الى عام ١٨١٨م وفى ذلك الوقت بدأ المستشرقون فى مختلف بلدان أوربا وأمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، فقد تأسست أولاً الجمعية الأسيوية فى باريس عام ١٨٢٢م ثم الجمعية الملكية الأسبوية فى بريطانيا وأيرلندا عام ١٨٢٣م، والجمعية الشرقية الأمريكية ١٨٤٢م، والجمعية الشرقية الألمانية عام ١٨٤٥م.

---

(١) المرجع السابق ص١٣.

(٢) انظر الفصل الذى كتبه مكسيم رد ونسون فى تراث الإسلام - تصنيف ساخت أبو زورت - ترجمة د/ محمد زهير السمهورى ج١ ص٧٨ سلسلة عالم المعرفة بالكويت ١٩٧٨ م.

وسرعان ما نشطت هذه الجمعيات فى إصدار المجلات والمطبوعات المختلفة .....

ففى عام ١٨٩٥ ظهرت فى باريس مجلة تمنح اهتمامها بصفة خاصة للعالم الإسلامى وهى مجلة الإسلام التى صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية فى المغرب وقد تحولت بعد ذلك إلى مجلة الدراسات الإسلامية.

وفى عام ١٩١٠م ظهرت مجلة "الإسلام" الألمانية وفى "بطرسبرح" بروسيا ظهرت مجلة عالم الإسلام عام ١٩١٢م ولكنها لم تعمر إلا وقتا قصيرا، وفى بريطانيا ظهرت مجلة "العالم الإسلامى" عام ١٩١١م على يد صمويل زويمر (ت ١٩٥٢م) الذى كان رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط[١].

هكذا نجد أنه ليس هناك اتفاق على تحديد بداية الاستشراق، وإن كان البعض يقول بأن البدايات الأولى للاستشراق ترجع إلى مطلع القرن الحادى عشر الميلادى، بينما يرى البعض الآخر أن بدايات الدراسات الإسلامية والعربية فى أوربا تعود إلى القرن الثانى عشر الميلادى الذى تمت فيه لأول مرة ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، كما ظهر أيضا فى القرن نفسه أول قاموس عربى لاتينى[٢].

وهناك من الباحثين من يجعل بداية الاستشراق قبل ذلك بقرنين أى فى القرن العاشر الميلادى - وليس المهم هنا متى ظهر مفهوم الاستشراق، وإنما المهم متى بدأت الدراسات العربية والإسلامية فى أوربا ومتى بدأ الاشتغال بالإسلام والحضارة الإسلامية بالقبول أو الرفض وعلى أية حال فإن الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق كان يتمثل فى ذلك الصراع الذى دار بين العالمين الإسلامى والنصرانى فى

---

(١) الإسلام والغرب د/ محمود حمدى زقزوق ١٦ - ١٧.

(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى د/ محمود حمدى زقزوق ص٢٠.

الأندلس وصقلية ، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى اشتغال الأوربيين بتعاليم الإسلام وحضارته.

ومن هنا يمكن القول بأن تاريخ الاستشراق فى مراحله الأولى يرجع إلى تاريخ الصراع بين العالم النصرانى الغربى فى القرون الوسطى والشرق الإسلامى.

فقد كان الإسلام كما يقول "ساذرن" يمثل مشكلة بعيدة المدى بالنسبة للعالم النصرانى فى أوربا على كافة المستويات، فاعتباره مشكلة عملية واستدعى الأمر اتخاذ إجراءات معينة كالصليبية والدعوة إلى النصرانية والتبادل التجارى، وباعتباره مشكلة لاهوتية تطلب بإلحاح العديد من الإجابات على العديد من الأسئلة فى هذا المصدر[1]

مما سبق يتضح أن الغرب جند جماعة من العلماء والباحثين أطلق عليهم لفظ المستشرقون تخصصوا فى الدراسات الشرقية، وذلك لكى يتثقفوا فى الدراسات الإسلامية حتى يتسنى لهم أن يشككوا المسلمين فى أمر دينهم وزعزعة عقيدتهم.

ولقد درس مفكروا الغرب تاريخ الأمة الإسلامية ووجدوا أن القوة عند المسلمين تتمثل فى العقيدة الإسلامية المركوزة فى القلوب، كما أنهم بحثوا أسباب الزائم التى لحقت بآبائهم وأجدادهم من قبل فوجدوا أن آباءهم الصليبيين هزموا بسبب تمسك المسلمين بدينهم فكان لابد أن يوجهوا فكرهم وأن يكثفوا جهودهم لزعزعة هذه العقيدة الراسخة فى قلوب المسلمين وذلك بإثارة الشبهات حولها.

وكان الهدف من هذه الجهود هو تنصير المسلمين بإدعاء إقناعهم بطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين النصرانى[2].

---

(1) الاستشراق د/ محمود حمدى زقزوق ص ١٨.

(2) الاستشراق والمستشرقون وجها لوجه د/ عدنان محمد وازن ص١٦ ط : العالم الإسلامى مكة المكرمة.

والاستشراق أنشئ خصيصا لصد المد الإسلامى الذى توغل داخل أوربا فى العقد الأول من القرن الثامن الميلادى الأول الهجرى الذى تمت فيه سيطرة المسلمين على أسبانيا كلها واستولوا على معظم فرنسا حتى جبال البرانس[1].

وهناك ملاحظة تتعلق بالمستشرقين اليهود فقد استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا عنصرا أساسيا فى إطار الحركة الاستشراقية الأوربية المسيحية ، فقد دخلوا الميدان بوصفهم الأوربى لا يوصفهم اليهودى وقد استطاع "جولد تسهير" (ت ١٨٥٠م — ١٩٢٠م) فى عصره - وهو يهودى مجرى أن يصبح زعيم الإسلاميات فى أوربا ، ولا زالت كتبه[2] حتى اليوم تحظى بالتقدير والاحترام الفائق من كافة فئات المستشرقين، وهكذا لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهودا حتى لا يعزلوا أنفسهم وبالتالى يقل تأثيرهم.

ولهذا عملوا بوصفهم مستشرقين أوربيين وبذلك كسبوا مرتين ك كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها ، وكسبوا ثانيا تحقيق أهدافهم فى النيل من الإسلام وهى أهداف تلتقى مع أهداف غالبية المستشرقين المسيحيين[3].

فاليهود أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية وهى محاولة إضعاف المسلمين والتشكيك فى قيمة الإسلام بإثبات فضل اليهودية على الإسلام بإدعاء أن اليهودية فى

---

(١) حضارة العالم الإسلامى - جوستاف ليون - ترجمة عادل زعيتر ص٢١٥ ط الحلبى.

(٢) جولد تسهير هو اكبر العلماء اليهود على الإطلاق ومكتبة تضم ٢٨ ألف مجلد وهى الآن فى إسرائيل، انظر مفتريات على الإسلام أحمد محمد جمال ص ١٢١ حاشية (١)

(٣) الإسلام والغرب د/ محمود حمدى زقزوق ص١٨ / قضايا إسلامية سلسة يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الجزء الرابع القاهرة ١٩٩٤ م

نظرهم هى مصدر الإسلام الأول، ولأسباب سياسة تتصل بخدمة الصهيونيـة فكـرة أولاً ثم دولة ثانية[1].

ونحن فى الواقع لسنا فى حاجة إلى دليل لإثبات كراهية اليهود للإسلام، وذلـك لأن هذه الكراهية قد ظهرت واضحة كالشمس منذ ظـهور الإسـلام وقـد أكـد القـرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

وقد ظل اليهود طوال تاريخهم يتحينـون كـل فرصـة متاحـة ليكيـدوا للإسـلام والمسلمين وقد وجدوا فـى مجـال الاستشـراق بابـا ينفثـون منـه سمومـهم ضـد الإسـلام والمسلمين فدخلوا هذا المجال مستخفين تحت رداء العلم، كما وجدوا فى الصهيونية بابا آخر يفرضون منه سيطرتهم على العرب المسلمين[3].

ويقول الدكتور "عدنان محمد وازن أن معظم المهتمين بالدراسات الاستشـراقية من المستشرقين ومن شايعهم إنما يعتنون بتحريف الإسلام وتشـوية جمالـه فالمستشـرقون إما من رجال الدين - اليهودى والنصارى - الذين يحرفون الكلم عـن مواضعـه أو مـن رجال الاستعمار الملحدين الذين يهتمون بزعزعة الاستقرار والسلام والطمأنينة وإثـارة القلاقل لتكون السيطرة والهيمنة لهم فيسومون الناس سوء العذاب[4].

---

(1) الفرك الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار د/ محمد البهى ص٤٣١

(2) سورة المائدة آية ٨٢

(3) الإسلام والغرب د/ محمود حمدى زقزوق ص١٩.

(4) الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر د/ عدنان محمد وازن ص٢٠.

المبحث الثالث

طوائف المستشرقين

ينقسم المستشرقون الباحثون فى الإسلام إلى عدة طوائف:

١- طائفة من طلاب الأساطير والغرائب الذين افتروا على الإسلام واخترع خيالهم المريض حوله الأقاصيص الكاذبة وقد ظهرت هذه الطائفة فى بداية الاستشراق .

٢- طائفة من المتعصبين للغرب وطنيا وجنسيا وهؤلاء يتعصبون للغرب دائما دون أدنى تحفظ ويزعم هذا الفريق أن العرب ليس لهم أدنى فضل على الحضارة الإنسانية ، فعناصر كثيرة من آدابهم استوحوها من آداب الفرس ، والحكمة نقولها من الهند وعلم الكلام نقلوه من الإغريق مما ترجمة النساطرة المسيحيون وسائر المترجمين.

٣- طائفة الماديين الملحدين: وهؤلاء يدعون إلى هدم المجتمعات القائمة ويقولون بأن الأديان كافة عقبة تعترض ما يسمونه بالإصلاح الاجتماعي ، الذى ينادى بإلغاء "الروحيات" فى كل مطلب من مطالب الحياة ، ولا حياة بعدها للإنسان ، ومن الطبيعى أن نصيب الإسلام عند هؤلاء الماديين الملحدين أوفر الأنصبة وأولاها بالأسبقية فى خطة الهدم والتشويه لأن المسيحية وغيرها لا تزاحم مذهبهم الإجتماعى بمذهب شامل لمسائل التشريع والنظم الاجتماعية والحكومية.

ولكن الإسلام له منهجه فى إقامة المجتمع وتنظيم شئون الدين والدنيا فى حياة الأفراد والجماعات.

٤-طائفة من محترفى التبشير، وهؤلاء يتخذون من تعمد تشويه الإسلام صناعة يستدرون بها الرزق ويتوسلون بها إلى الجاه وسمعة الصلاح والتقوى بين المتعصبين الجهلاء فى البلاد الأوربية والأمريكية.

ومعنى هذا أنهم أصحاب مصلحة فى تشويه الإسلام وإظهار المسلمين على الصورة التى تذكى عند القوم روح التعصب والعداء.

٥- طائفة من الصهاينة، وهؤلاء أخطر المغرضين جميعا لما تملكه الصهيونية من وسائل الدعاية التى قد لا تتهيأ لغيرها من الفئات.

٦- طائفة الاستعماريين: وهؤلاء من المرتزقة الذين جندوا دراساتهم وبحوثهم فى خدمة المصالح الغربية الإقتصادية والسياسية والاستعمارية، وهؤلاء يملكون قوة كبيرة أيضا وهى قوة الدولة التى تسخر لمصالحهم.(١)

٧- طائفة تعرضت للإسلام باسم البحث العلمى النزيه ولكنهم انحرفوا عن جادة الصواب سواء بقصد أو بغير قصد.

٨- طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والإنصاف والتزموا فى دراستهم للإسلام الموضوعية والنزاهة العلمية وأنصفوا الإسلام والمسلمين وانتهى بهم البحث عن الحق إلى الإسلام ومنهم اللورد (هيدلى) وأتين دينية (ناصر الدين) والشاعر الألمانى الكبير جوتية، والدكتور جرينيية الذى كان عضوا فى مجلس النواب الفرنسى، وقد سئل عن سبب إسلامه فقال: "إنى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتى درستها من صغرى، وأعلمها جيدا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا - ﷺ - أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة، ومن قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر. ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا، لأسلم بلا شك إن كان عاقلا خاليا من الأغراض"(٢).

---

(١) صور الغزو الفكرى د/ سلطان عبد الحميد سلطان ٩٦ - ٩٨.

(٢) التبشير والاستشراق / للمستشار محمد عزت الطهطاوى ص١٢٦٧، وانظر أساليب الغزو الفكرى د/ على محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق ص٢٩.

وقد أسلم غير ذلك كثير جدا من المستشرقين وتقول العالمة الذرية "جونان التوت" والتى أسلمت على يد الشيخ البيصار من بين (٢٥٠) رجلا وامرأة أشهروا إسلامهم فى اليوم نفسه ومن بينهم سفير غانا:

"المسألة ليست انتقالا من دين إلى دين آخر، ولا هى تحد لمشاعر وتقاليد وطقوس توارثناها - إنما هى الحرية المنشودة أو الفردوس المفقودة التى نشعر بأننا فى أشد الحاجة إليه.

وتقول: ما نسمعه عن هذا الدين العظيم مشوش ومحرف وغير صادق، فكل ما هو معروف عندنا عن الإسلام خزعبلات رددها المستشرقون، منذ مئات السنين ولا تزال أصداؤها قوية حتى الآن[1].

المبحث الرابع

وسائل الاستشراق

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث أرائهم إلا سلكوها ومنها:

١- تأليف الكتب فى موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه وفى أكثرها كثير من التحريف المتعمد فى نقل النصوص وفى فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.

٢- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه.

٣- إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامى لتزاول أعمالا إنسانية فى الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس، والملاجىء ودور الأيتام ودور الضيافة، كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهها.

---

(١) من كتاب لم هذا الرعب كله من الإسلام - سعيد جودت ص١٩ - ٢٣ نقلا من كتاب معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير / إبراهيم سليمان الجهان ص ١٠٧ ط عالم الكتب.

٤- إلقاء المحاضرات فى الجامعات والجمعيات العلمية.

٥- مقالات فى الصحف المحلية عندهم.

٦- عقد المؤتمرات لإحكام خططهم فى الحقيقة، ولبحوث عامة فى الظاهر، وما زالوا يعقدون منذ عام ١٧٨٣ م حتى الآن[١].

المبحث الخامس

دوافع الاستشراق

لقد كانت المسيحية الأوربية فى فزع فازع، وكان أحبار الكنسية ورهبانيها يخشون أن يصل نور الإسلام إلى أوربا فيبدد ظلام الكنيسة ويحطم سلطانها، ويحرم رجالها غنائمهم، ومن هنا عمدا المستشرقون -وهم لسان الكنيسة - إلى هاتيك الدراسات ليجعلوها عصابة على عيون أبناء الكنيسة ورعايا.

فقد كانت الصليبية الأوربية تخشى أن يملأ نور الإسلام قلوب المسيحيين الأوربيين فدفعوا بالإستشراق لكى يكون حماية للإنسان الغربى من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ويتكلم بلغته ، ويحمل رايته ويدعوا له ويجاهد فى سبيله ويقاتل أعداءه.

ولقد ارتاد المستشرقون ديار الإسلام لمعرفتها والتعرف بها حتى يؤمنوا للزحف الصليبى الجديد أن يسير على هدى وبصيرة فقد درس المستشرقون الشرق من ناحية أرضه، ومياهه، وطقسه، وجباله، وأنهاره، وزروعه، وثماره، وأهله، ورجاله، وعلمه، وعلمائه، ودينه، وعقائده، وعاداته وتقاليده، ولغاته .....وكل ذلك لكى يعرفوا كيف يصلوا إليه، فقد ظلت دار الإسلام مرهوبة مخوفة، لم تستطيع الصليبية المقهورة أن تحاول - مجرد محاولة - اختراقها لعدة قرون، وكانت المناوشات والاحتكاكات على الثغور والأطراف تحسم دائما لمصلحة الإسلام والمسلمين ، ولما حاولت بجحافلها الغاشمة اختراق

(١) الاستشراق المستشرقون د/ مصطفى السباعى ص٧٦ - ٧٧.

ديار الإسلام فى مطلع القرن السادس الهجرى رجعت بعد نحو قرنين (٤٨٩ هـ — ٦٩٠ هـ) من الزمان مقهورة مدحورة[١].

ولكنها ما فتئت تدبر وتقدر وتحاول الالتفاف حول ديار الإسلام، لما استعصى عليها اختراقها، وكان الاستشراق هو رائدها الذى يرتاد لها الطريق.

هكذا كان من عمل المستشرقين إرتاد ديار الإسلام ومعرفتها والتعرف بها حتى يضمن للزحف الصليبى الجديد أن يسير على هدى وبصيرة.

وإذا كنا نقول ذلك استنتاجا صحيحا من قراءة الوقائع والأحداث، ومما تنطق به جولات الصراع الذى دار - ويدور - بين الصليبية وديار الإسلام، وإذا كنا نقول هذا استملاء من لسان الحال، حال التاريخ القريب والبعيد، فقد صدقه المستشرقون أنفسهم، وقالوه بلسان المقال فهذا هو المستشرق الأمريكى "روبرت بين" يقول فى مقدمة كتابه "السيف المقدس": إن لدينا أسبابا قوية لدراسة العرب والتعرف على طريقتهم، فقد غزوا الدنيا كلها من قبل. وقد يفعلونها مرة ثانية، إن النار التى أشعلها محمد لا تزال تشتعل بقوة، وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للإطفاء[٢].

وبهذا الصراحة أو أشد منها - إذا كان هناك أشد منها - يأتى قول الأمير (كايتانى) ذلك الأمير الإيطالى الذى "جهز على نفقته الخاصة ثلاث قوافل، لترتاد مناطق الفتح الإسلامى، وترسمها جغرافيا وطبوغرايفا وجمع كل الدوريات والأخبار الواردة عن حركة الفتح في اللغات القديمة ....و استخلص تاريخ الفتح في تسعة

---

(١) رسالة الجهاد - مالطا - موضوع : المنهج عند المستشرقين د/ عبد العظيم الديب - العدد ٩٥، السنة التاسعة - جمادى الثانى ١٤٠٠هـ - ١٩٩١م

(٢) رسالة الجهاد - مالطا - موضوع المنهج عند المستشرقين د/ عبد العظيم الديب ، العدد ٩٥ السنة التاسعة جمادى الثانى - ١٤٠٠ هـ / ١٩٩١ م.

مجلدات ضخمه بعنوان "حوليات الإسلام" بلغ بها أربعين هجرية ...قال هذا الأمير الذي استهلك كل ثروته الطائلة في هذه الأبحاث، حتى أفلس تماما، قال في مقدمة كتابه (حوليات الإسلام) هذه إنه إنما يريد بهذا العمل أن يفهم سر المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض، ما يزالون حتى اليوم يؤمنون برسالة محمد، ويدينون به نبيا ورسولا [1].

فهو بهذا يعلن عن هدفه بغاية الصراحة والوضوح أن يفهم سر المصيبة الإسلامية أي سر الإسلام ومصدر قوته.

هكذا وبكل وضوح يكشف القوم عن دوافعهم الاستشراقية ويمكن تلخيص تلك الدوافع فيما يلي:

١- الدافع الديني:

إن الدافع الديني للاستشراق كان يسير منذ البداية في اتجاهات ثلاثة متوازية تعمل معا جنبا إلى جنب وتتمثل هذه الاتجاهات في الأتي:

أ- محاربة الإسلام والبحث عن نقاط الضعف فيه، وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية واليهودية، والانتقاص من قيمة والحط من قدر نبيه - ﷺ-.

ب- حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم ، وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة ، وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين.

ج- التبشير وتنصير المسلمين لقد بدأ هذا الاتجاه بالرهبان واستمر حتى عصرنا الحاضر، فهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا فى الإسلام ويشوهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التى تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار والتطور.

---

(١) المرجع السابق.

ومن كيدهم فى هذا الصدد انهم يحكمون على الإسلام دائما من واقع المسلمين الحالى، فهم لا يصورون الإسلام من منابعه ومصادره، بل يصورونه من واقع المسلمين السيء، وهم يعمدون إلى اختيار البيئات الإسلامية التى نالها أكبر قسط من الضعف والهزال ويجعلونها نموذجا للإسلام[1].

وقد نسى هؤلاء الحاقدون أن المسئول عن هذا الواقع السيئ للمسلمين هو عدم تمسكهم بالإسلام وبعدهم عنه من جهة، واستنزاف الاستعمار لخيراتهم وتخريبه لقيمهم وثقافتهم الأصلية من جهة أخرى.

وإذا كان الدافع الدينى لم يعد ظاهرا الآن فى الكثير من الكتابات الاستشراقية، فليس معنى ذلك أنه قد اختفى تماما، إنه لا يزال يعمل من وراء ستار بوعى أو بغير وعى ويهدف الدافع الدينى إلى ما يلى:

١- تشكيك المسلمين فى دينهم ، وقرآنهم وشريعتهم.

٢- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة من حضارة الرمان.

٣- إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك فى كل ما بين أيدى المسلمين من قيم وعقائد ومثل عليا ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم، ونشر ثقافته الحضارية بينهم.

٤ - إضعاف روح الإخاء الإسلامى بين المسلمين فى مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التى كانت قبل الإسلام، وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم، وكذلك يفعلون فى البلاد العربية، يجهدون لمنع اجتماع شملها، ووحدة كلمتها بكل ما فى أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق[2].

---

(1) المستشرقون - على حسن خربوطلى ص ٨٣

(2) الاستشراق والمستشرقون د/ مصطفى السباعى ص ٢٤.

٢- الدافع الاستعماري:

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبين وهي في ظاهرها حروب دينية ، وفي حقيقتها حروب استعمارية لم ييأس الغربيون من العودة إلى الاحتلال مرة أخرى ولكن بطريق سلمي فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق .....و ..... ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموه.

وقد عمل المستشرقون على بعث النزعات الشعوبية وإثارة العصبية والدعوة إلى القومية وإشاعتها بدلا من الوحدة الإسلامية والاعتصام بدين الله فحاولوا إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في بلاد الشام، والأشورية في العراق، وهكذا حتى يتسنى لهم تشتيت كيان الأمة الواحدة، وهذا ما يعمل على تركيز الاستعمار ولعلنا نذكر العبارة الاستعمارية "فرق تسد".

وقد أسهمت الدراسات الاستشراقية بالنصيب الوافر والجهد الواسع في تمكين الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية ومحاولة تهيئة الأجواء والنفوس لقبوله والخضوع لولايته ورأينا كثير من المستشرقين ارتضوا أن يسخروا عملهم وإمكاناتهم في سبيل قهر المسلمين وإذلالهم يدعم الحركة الاستعمارية ، فكثير منهم كانوا سياسين ينفذون رغبات الاستعمار الغربي فالمستشرق (لويس ماسنيون) و (هانوتو) و (دوق دراكسو) و (سانت هلير) وغيرهم كانوا أعضاء في المجالس النيابية في بلادهم وكانوا مستشارين لوزارات الخارجية فيها[1].

هكذا تحكم الواقع الاستعماري في توجيه الحركة الاستشراقية . وقد ظهرت تلك الأهداف الاستعمارية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين.

---

(١) الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام د/ سعد الدين صالح ص٩١ - دار الأرقم ط ٨.

٣- الدافع الاقتصادي:

لقد حرص الاستعمار الغربى على استغلال ثروات الشرق الإسلامى وقتل كل ما تقدم فى مجالات الصناعة والتجارة، والهدف من وراء ذلك أن تبقى هذه البلاد مناطق لرواج بضائعهم، وقتل الصناعات المحلية التى كانت مزدهرة فى العالم الإسلامى والحصول على موارد الخام بأبخس الأثمان.

ولذلك كانت المؤسسات المالية والشركات وكذلك الملوك فى بعض الأحيان يزودون الباحثين بما يحتاجون إليه من مال ، كما كانت الحكومات المعنية تمنحهم الرعاية والحماية[١].

وقد دخل بعض الغربيين ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق عندما ضاقت بهم سبل العيش العادية، كما دخل بعض هؤلاء هذا الميدان عندما قعدت بهم إمكاناتهم الفكرية عن الوصول إلى مستوى العلماء فى العلوم الأخرى وبمعنى أخر لتغطية عجزهم الفكرى[٢].

وبالإضافة إلى امتهان الغربيين للاستشراق طلبا للرزق فهناك كثير من أصحاب المكتبات التجارية والقائمين عليها يشجعون نشر المؤلفات والكتب التى تدور حول الإسلام والشرقيات ويشرفون على نشرها لما يريدون لها من سوق نافعة فى أوربا وأسيا وتنال هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ما يجعلها عظيمة الانتشار كثيرة الزيوع وهى بلا شك وسيلة رابحة وكسب أموال خطيرة[٣].

---

(١) أضواء على الاستشراق د/ عبد الفتاح عليان ص٢٨.

(٢) لمحات فى الثقافة الإسلامية د/ عمر عودة الخطيب ص ١٩٨.

(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العربية فى الأقطار الإسلامية أبو الحسن الندوى ص ١٨٨ ط دار.

٤- الدافع العلمي:

وهؤلاء قلة قليلة من المستشرقين أقبلوا على دراسة العلوم العربية والإسلامية بدافع علمي محض بغية الاستفادة من تراث وحضارة الأمة الإسلامية وإفادة أقوامهم بها وهؤلاء بالطبع كانوا قليلي الأخطاء إذا ما قيسوا بجمهرة المستشرقين الآخرين، والسبب في قلة أخطائهم أنهم أقبلوا على البحث بروح علمي بعيد عن الأهواء السياسية والتعصبات القومية والدينية فجاءت مؤلفاتهم مصبوغة بالصبغة العلمية الحقيقة وأثبتت بكل وضوح للعالم الغربي حقيقة هذا الدين وأصالة هذه الحضارة.

ومن الملاحظ أن هذا الصنف يتجرد عن الأهواء ولا يعمد إلى الدس والتحريف ولذا تكون أبحاثه والنتائج المستخلصة منها موضوعية وتتسم بالأمانة العلمية والباحثون عن العقيدة الدينية الصحيحة من هؤلاء هم أناس ثاورتهم الشكوك في عقيدتهم التي ولدوا عليها وغلب على وجدانهم أن الشرق هو مصدر الأديان وأنه مرجع الباحثين عن العقائد الروحية في الزمن الحديث كما كان الحال في الزمن القديم[1].

على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص، لأن مؤلفاتهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة ولا عند عامة الباحثين، ومن ثم فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا، ومن ثم كان أمثال هؤلاء الكتاب قليلين جدا ونادر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين[2].

---

(١) ما يقال عن الإسلام د/ العقاد ص ٨

(٢) الاستشراق والمستشرقون د/ مصطفى السباعي ص١٩.

ومما قاله المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام وأثبتوا زيف وافتراء وحقد بقية المستشرقين.

المستشرق (مرماديوك) إذا يقول "إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم بنفس السرعة التى نشروها بها سابقه إذا رجعوا إلى الأخلاق التى كانوا عليها حينما قاموا بدورهم الأول، لأن هذا العالم الخاوى لا يستطيع أن يقف أمام حضارتهم[1].

ويقول الدكتور حسن عباس ذكى انه قرأ لمؤلف فرنسى كتاباً جاء فيه "لو أن العرب عرفوا قيمة الإسلام لحكموا العالم إلى قيام الساعة[2].

كما انه قرأ لمؤلف إنجليزى كتابا جاء فيه "إن نظام الزكاة فى الإسلام هو أفضل حل لمشاكل العالم[3].

ويقول أحد قساوسة جنوب أفريقيا مخاطبا مبعوث مجلة الاعتصام المنتدب لزيارة المركز الإسلامى هناك "أنا قس من رجال الدين المسيحى أحمل اسما مسيحيا وهذا الاسم لا يعنيكم ولن أقوله - ولكن أقول - بالرغم من أنى دربت على المسيحية، وتعلمتها فى جامعات بريطانيا، وأعددت لأكون راية للمسيحية وداعية لها. إلا أنى لم أشعر بأن المسيحية استطاعت أن تجيب على تساؤلاتى لأنها مرتبكة فى جسمى، وقد فكرت فى التخلص من المسيحية السوداء التى لا تعترف بآدميتنا، والتى جاءتنا بالإنجيل فى يد وبالعبودية فى اليد الأخرى، وجاءنا أدعياؤها بالإنجيل فى يده وبزجاجة الخمر فى اليد الأخرى.

---

(1) انظر / معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير إبراهيم سليمان الجهان ص ١٠٧، ط عالم الكتب.

(2) المرجع السابق ص ١٠٧.

(3) المرجع السابق ص ١٠٧.

ثم يضيف قائلا: لقد رأيتكم تصلون فإذا بالأبيض بجانب الأسود والغنى بجانب الفقير، المتعلم بجانب الجاهل ولهذا أقول أن الأفريقى ليس بحاجة إلى المسيحية إنه فى حاجة إلى هذا الدين العظيم.

وبعد أن أغرورقت عيناه بالدموع قال: لماذا حجبتم عنا هذا الدين؟ أنيروا لنا الطريق فإن مبادىء هذا الدين هى التى يمكن أن تنقذ العالم مما هو مقبل عليه من فوضى ودمار[1].

وفى كتاب (معالم تاريخ الإنسانية) يقول ويلز: كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط، ولم أجد دينا يسير مع المدنية أتى سارت سوى دين الإسلام[2].

ولمن يريد أن يطلع على المزيد مما كتبه المنصفون للإسلام أن يرجع إلى كتاب (نظرات فى تأريخ الإسلام) تأليف (رينها ردت دوزى) وكتاب "حضارة الإسلام" تأليف (غوستاف لبون) وكتاب "الأبطال" لتوماس كارليل "وكتاب" محاسن الإسلام "للدكتورة" لورافينشيا فاليرى "وكتاب" دفاع عن الإسلام "للمستشرق" "فاغليرى" تعريب "منير بعلبكى" وكتاب "الدعوة إلى الإسلام" "لتوماس أرنولد" "كتاب" إنسانية الإسلام" "وكذلك كتاب" بناء الإنسانية" "لروبرت بريفولت"[3].

---

(1) المرجع السابق ص ١٠٨/١٠٩.

(2) المرجع السابق ص ١٠٩.

(3) لعل أكبر شاهد على عظمة الإسلام أن كل من اعتنقوه كانوا من صفوة رجال الفكر ومن أصحاب العقول النيرة والوزن الثقيل وانهم لم يختاروه إلا بعد دراسة مستفيضة توصلوا معها إلى ساحة اليقين ومن هؤلاء العالم الفرنسى (رينيه بينو) والعالم الفرنسى (موريس بوكاى) مؤلف كتاب "دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة" و "جورج ريغوار" الذى تسمى "حيدر يامان" وألف كتابه الوجه الحقيقى للإسلام" والمستشرق الإنجليزى" أرنولد" الذى قال "دخلت الإسلام لا هنفه من الداخل فإذا به يحطمنى من جديد" و "جاك بيرك" مؤلف كتاب الإسلام فى مواجهة التحدى.

المبحث السادس
أهداف الاستشراق

إن الاستشراق لم يكن حركة نزيهة منذ البداية إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع أوربى يرمى إلى إدخال المسلمين فى النصرانية.

ولا يمكن أن يتصور عاقل أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها، ولا يمكن أن يتصور عاقل أن أعداء الإسلام قد سكتوا عن الإسلام بعد أن تحالفوا ضد أهل الإسلام فغلبوهم وجعلوا منهم أمما بعد أن كانوا أمة، وفرقا بعد أن كانوا وحدة ولا زال أعداء الإسلام يدبرون لحربه كل يوم وسيله، ويحشدون للوقوف فى وجهة كل يوم قوة وليس خطر الكلمة والفكر بأقل من خطر الجندى السلاح فى المعركة الضاريه التى يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله.

وإن هؤلاء الأعداء قد سكتوا عن حرب الجنود والأسلحة، ليشنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام، منهجه وتاريخه ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه، وتحالفوا وتآزروا وابتكروا حديث الوسائل وخبث التيارات والأساليب، فغذوا المسلمين فى قلوبهم، وأفكارهم، وأخلاقهم وأزيائهم، وشنوا على العالم الإسلامى من الغرات ما لا يخفى أمره[1]، ويمكن تحديد أهداف الاستشراق فى النقاط الآتية:

١- القضاء على الإسلام وهدم العقيدة الإسلامية وإقتلاعها من قلوب المسلمين وصرفهم عن التمسك بالإسلام نظاما وسلوكا.

٢- محاربة الإسلام والزعم بأنه مأخوذ من المسيحية واليهودية والانتقاص من قيمة والحط من قدر نبيه.

---

(١) الغزو الفكر والتيارات المعارية للإسلام / د/ على عبد الحليم محمود ٥ - ٦ ط جامعة الإمام ١٤٠١ هـ

٣- محاولة تطويق المسلمين وإسقاط النفوذ الإسلامية حتى لا ينتشر فى أماكن أخرى من العالم.

٤- الطعن فى الإسلام وتشويه محاسنه، وتحريف حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التى تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكو دماء يحثهم دينهم على الملذات الحسية ويبعدهم عن كل سمو روحى وخلقى.

٥- تضليل المسيحيين الغربيين وحجب حقائق الإسلام عنهم وتقديم صورة مشوهه للإسلام فى عقيدته وسلوكه وأخلاقه وتشريعاته ونظامه وكل ذلك من أجل التنفير منه، وتصوير تراث الأمة الإسلامية بصورة التخلف وعدم قدرته على إمداد الحضارة بشيء مفيد، وانه لم يكن له فضل على الحضارات التى جاءت بعده.

٦- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى، بدعوى أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان، ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقله لفلسفة تلك الحضارة وأثارها.

٧- تفريغ العقل والقلب من القيم الأساسية من الإيمان بالله واليوم الأخر ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق الصحافة والمسرح الفيلم والمطبوعات والمنشورات والأزياء.

٨- أن تظل بلدان العالم الإسلامى تابعة للدول الغربية تبعية غير منظوره، وان تتخذ مناهجها فى التربية والتعليم فتطيقها على أبنائها وأجيالها فتشوه فكرهم وتمسح عقولهم، وتقضى على لغتهم.

المبحث السابع

المستشرقون وخيانة المنهج

إن أكثر ما يذكره المسبحون بحمد المستشرقين هو الإشادة بدقتهم وتجردهم للبحث والعلم وقدرتهم على التمحيص والتدقيق، وأنهم قادة هذا الميدان وفرسان هذا المجال، والمستشرقون أيضا حرصوا كل الحرص على أن يضفوا على أنفسهم هيبة العلم وقداسة محرابه، وان يخفوا تحت شارته ورداءه كل "أغراضهم" و "أهوائهم" وأصبحت كلمات "الأكاديمي" "البحث العلمي" "المنهج" "حرية الرأي" "قيمة العقل" و "الحيدة العلمية" ...الخ أصبحت هذه الشعارات درعا سابغا توارث تحته مكنونات الصدور، وخفيات الضمائر وسموم الأحقاد ولكن لله در الإمام أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور حين قال: إنه ما أثر أحد معصية قط إلا ظهرت في أثار يده وفلتات لسانه[1].

ولو وضع تلاميذ المستشرقين وأتباعهم والذاكرين والشاكرين لهم، وهذه الغشاوة عن أعينهم، وهذه الحجب عن بصائرهم، لرأوا ما خلف هذه الأقنعة، وعلموا أن كلام المستشرقين في العلم والمنهجية وحرية البحث والحيدة العلمية مجرد أقنعة تتراكم وتتراكب إمعانا في إخفاء ما تحتها، ولو نظرنا في عمل هؤلاء المستشرقين بمقاييس العلم والمهج العلمي، البحث الأكاديمي ..... لوجدناهم أول من يصنع هذا المنهج على قفاه ويدرسه بقلميه، وهو في نفس الوقت رافع رايته متقدم باسمه وضارب بسيفه[2].

إن المستشرقين يعملون على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم، والتحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص، وكثيرا ما يحرفون النص تحريفا مقصودا.

---

(1) المستشرقون والتراث د/ عبد العظيم الديب ص٢٧ ط دار الوفاء بالمنصورة.

(2) المرجع السابق ص ٢٧ .

ومن ذلك ما يجمعه المستشرقون من شبهات مختلفة ويؤلفون بينها لإعطائها صورة كاملة ومن أمثلة ذلك ما قام به المستشرق الألماني "ولهم هورنباع" الأستاذ فى جامعة بون بألمانيا" من جمع وقطع نتق وشذرات من كتاب "الإصابة" للحافظ بن حجر، ثم ينشرها على أنها كتاب "الردة" لابن حجر الذى ألفه أبو زيد ابن الفرات المتوفى عام ٣٣٧ هـ وهو فارس الأصل، وقد ضاع هذا الكتاب فأشار ابن حجر إليه فى بعض المواضع فما كان من المستشرق "ولهم" إلا أن جمع هذه القطع على أنها تراجم لأشخاص ارتدوا عن الإسلام. ولا يقوم بمثل هذا العمل إلا مغرض صاحب هوى، لأنه يخالف البحث العلمى السليم[1].

ومن أمثلة خيانة المنهج العلمى أيضا ما ذكره مؤرخ الحضارة وعملاق الفكر وسادن العلم وأستاذ البحث المنهج - كما يقولون عنه ول ديورانت حيث يقول فى كتابه "قصة الحضارة":

يقول عن النبى - ﷺ - "وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب، ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره وظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك عرضه لحميات - نوبات غريبة ..... الخ.

ولا يعنينا أن نناقش القبح والفحش الذى كتب به المؤلف ما كتبه عن نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام - بأبى هو وأمى وبنفسى وأولادى والناس أجمعين - فليس هو مجال مناقشة، ولكن الذى يعنينا هو ضبط المستشرق العلامة متلبسا بخيانة المنهج وذلك قوله "ظن أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم" فهذا التعبير

(١) أساليب الغزو الفكرى د/ على جريشة ، د/ محمد شريف ص ٢٥ ط دار الاعتصام.

بـ "ظن" يريد أن ينفس صحة الخبر ليبرىء اليهود من جريمة محاولة قتله - ﷺ- باسم ومن قتل الصحابى الجليل الذى أكل معه.

وهذا الخبر "خبر دس السم" موجود مشهور فى مصادر السيرة النبوية المختلفة، فقد أورده ابن هشام فى سياق غزوة خيبر، وأورده ابن سعد فى طبقاته، ورواه البخارى فى غير موضع: ٥/ ١٧٦، ومسلم ٧/ ١٤ — ١٥ كلاهما من حديث أنس، ورواه أحمد برقم ٢٨٨٥ من حديث ابن عباس وأبو داود: ١٤٦/١، والدرامى: ٣٣/١ عن جابر ..... (وفيه اعتراف اليهود بدس السم وعفو الرسول - ﷺ- عن هذا الجرم الفظيع، مع موت الصحابى الجليل البراء ابن معرور بهذا السم.

ومع ثبوت هذا الخبر ووفره مصادره تأبى "الأمانة العلمية" و "الخيدة الأكاديمية" و "منهج البحث" على هذا المستشرق العتيد إلا أن يزيف ويحرف، فينكر الخبر الثابت وينسب الحادثة فى إيجاز بارع إلى مجرد ظن ووهم .

وعلى حين ينكر هذا الخبر الثابت، يحرف ويزيف خبرا آخر، يزيد فيه وينقصى منه.

فيقول فى ص ٧٧ وهو يتحدث عن الثراء الذى جاء المسلمين نتيجة الفتح " ... وكان للزبير بيوت فى عدة مدن مختلفة ، وكان يمتلك ألف جواد ، وعشرة الا عبد ..... "

وهذا الخبر بهذه الصورة وبهذا الإيجاز يجمع ألوانا وأفانين من التحريف ففيه زيادة وفيه نقص، وفيه تغيير وتبديل. وبيان ذلك: أن الخبر ورد فى المصادر المعروفة والمشهورة هكذا: "كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه خراجهم كل يوم فما يدخل إلى بيته منها درهما واحدا يتصدق بذلك جميعه".

هكذا ورد الخبر فى:

الإصابة فى تميز الصحابة - لابن حجر العسقلانى ج١/٥٤٦.

أسد الغابة لابن الأثير: ١٩٧/٣.

البداية والنهاية لابن كثير ج٢٥١/٧.

صفوة الصفوة لابن الجوزى: ج٣٤٦/١.

الاستيعاب فى معرفة الصحاب - لابن عبد البر: "بها مش الإصابة" ج٥٨٣/١.

وبعض هذه المراجع من منشورات المستشرقين، أعنى أن هذا الخبر بهذه الصيغة كان متاحا له وبين يديه "وهم يزعمون ويزعم تلاميذهم أنهم يستقصون المراجع ولا يخطون حرفا إلا بعد جمع كل ما يتصل بموضوعهم"، ولكنه كما ترى ارتكب التحريفات الثلاثة الآتية:

١- زيادة ألف جواد من عنده، فقد أقحمها فى الخبر، ولا وجود لها فيه أصلا.

٢- نقص الجزء الأخير من الخبر عن تصدق الزبير بخراج هؤلاء المماليك.

٣ - زيادة الألف مملوك إلى عشرة آلاف، وهكذا تكون "الأمانة العلمية" "النزاهة" و "والحيدة" و "التجرد" و "المنهج" إلى أخر هذا الركام من الأحجار التى يلقمونها لمن يريد أن ينظر فى عمل المستشرقين.

ونكتفى بهذا القدر - وهناك الكثير جدا - من خيانة عملاق الفكر، وسادن العلم للبحث العلمى والمنهج ..... وكذلك المستشرق "يوحنا الدمشقى" كتب كتابا دعاه "حياة محمد" قدم الإسلام فيه على أنه فرقة مسيحية مارقة ظهرت فى عهد الإمبراطور هرقل الرومانى بفعل متنبىء من العرب يدعى حامدا "أى محمد" وأن حامدا هذا كان قد اطلع على كتب العهد القديم والجديد ثم إتصل بأحد أتباع أريوس الموحد والذى طردته الكنيسة لأنه كان يعتقد بالتوحيد المجرد لله فعرف منه نحلته الوحدوية، فأسس دعوة الإسلام على أساسها، وقد استطاع هذا المتنبىء أن يكتسب قلوب قومه وأن يقدم لهم كتابا زعم انه أنزل عليه من السماء ووضع فيه فرائض مضحكة على أنها الشريعة[1].

(١) التبشير والاستشراق - أحقاد وحملات للمستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ص ٤٧، ٤٨.

تلك هى الأمانة العلمية عند المستشرقين:

ولقد عمل المستشرقون على نشر الموسوعات "دوائر المعارف والقواميس" وملؤوها بالسموم والشبهات مثل:

دائرة المعارف الإسلامية.

قاموس المنجد فى اللغة والعلوم والآداب .

الموسوعة العربية الميسرة .

تاريخ البشرية الثقافى والحضارى .

مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

يقظة العرب .

لهذا ينبغى على من يود الرجوع إلى هذه المصادر أن يكون على حذر تام ، وان يتنبه لما بين سطورها من مغلطات أو تشويه أو تحريف فى النقل، على أن روح مؤلفيها فى الحقد على الإسلام، والعداء للمسلمين لا تخفى على المطلع الحصيف.

وكثيرا من المستشرقين يدسون فى كتاباتهم مقدارا خاصا من "السم" ويحترسون فى ذلك فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى يستوحش القارئ، ولا يثير ذلك فيه الحذر ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف.

وإذا حاول أحدهم أن يبدو محايد أو يخفف من أثقل التعصب، تجد بقية المستشرقين يهبون فى وجهه يطالبونه بأن يكون موضوعيا وأن يستخدم الطريقة العلمية ويلجأ إلى النقد ذى المستوى العالى، ولا يعرف العقل ولا المنطق حدا لما يقوم به المستشرقون من تحريف للتاريخ الإسلامى وتشويه لمبادىء الإسلام وثقافته وإعطاء المعلومات الخاطئة عنه وعن أهله[1].

([1]) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام د/محمد البهى نقلا من التبشير والاستشراق ص ٤٩ .

والآن سوف نلقى الضوء على المراجع السابقة ونذكر وجهة نظر العلماء والباحثين فيها، ليتبين مدى خطورة هذه المراجع التى كتبها جهابذة المستشرقين.

١- دائرة المعارف الإسلامية:

وضعت دائرة المعارف باللغات الأوربية فى دوائر الاستعمار والاستشراق والتبشير بهدف أساسى هو أن تكون مادة فى أيدى الخبراء والمبعوثين الذين ترسلهم دوائر وزارات الاستعمار إلى عالم الإسلام ولذلك فهى تنضح بالحقد والتعصب والشكوك والإضطراب وقد كتبها جهابذة الاستشراق والتبشير وحملوها كل خصوماتهم وأحقادهم[١].

وقد أشار بعض الباحثين إلى ما تحتويه دائرة المعارف الإسلامية من أخطاء علمية فاحشه عندما كلفوا بترجمتها فى الثلاثينات من هذا القرن وقد طلبوا من أول وهله من واضعيها أن يصححوا هذه الأخطاء المتعلقة بطلب البحث، ولكنهم اكتفوا بالتعليق على هذه الشبهات فى الهوامش ففوتوا كثيرا من الحقائق على القارىء المتعجل الذى لا يعنى بالرجوع إلى الهامش[٢].

وقد أشار العلامة: محمد فريد وجدى إلى القصد المتعمد فى الجمع بين أساطير البدع وحقائق الشريعة فقال: إن أكثر كتاب الدوائر قسس مبشرون يهمهم أن يتحيفوا الإسلام لا أن ينصفوه ..... وليس كتاب الدوائر وحدهم من هذا النمط، بل جل المشتغلين بالدراسات الإسلامية فى الغرب لا يتجاوزون صناعة التبشير تعرفهم من لحن القول[٣].

---

(١) سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية أنور الجندى ص ١٧ ط مكتبة التراث الإسلامى.

(٢) المرجع السابق ص ١٨.

(٣) سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية أنور الجندى ص ٢٤ ط مكتبة التراث الإسلامى.

وأشار الباحثون إلى أن أهم نواحى الخطر فى هذه الدوائر أن ما يترجم منها لا يتعرض للتحليل والإيضاح لما فيها من أخطاء وشبهات وإنما تسطر البدع الدخيلة على الإسلام باستفاضة مثيرة، وقد أمعن مؤلفو الدوائر فى تسجيلها وشرحها كأنها أصول مقررة لا بدعا دخيلة[1].

ومن المصادر التى اعتمدتها دائرة المعارف شمائل المصريين الذى كتبه المستشرق إدوارد وليم عام ١٨٣٥ م عن المصريين وقد أصبح هذا الكتاب أحد المراجع الهامة لمؤلفى دائرة المعارف ينقلون عنه الخرافات وكأنها حقائق[2].

٢- قاموس المنجد فى اللغة والعلوم والآداب:

قاموس المنجد يشتمل على قاموسين، قاموس للألفاظ اللغوية ومليء بالأخطاء اللغوية، وقاموس أطلق عليه "معجم الأدباء" إعداد فردينان تومل، وهو القاموس الحافل الأخطاء والشبهات والذى عرض له عدد من الباحثين وكشفوا عن أخطائه فى مقدمتهم العلامة عبد الله كنون الذى نشر فى مجلة الحق المغربية أكثر من عشرة فصول عنه تضم أكثر أربعمائة خطأ شائع تاريخى وعلمى[3].

وأسوأ مل فى القاموس مادة "محمد" وهى فى عباراتها تنضخ بالتعصب والحقد وفساد المنهج والبعد عن العلمية والإنصاف.

ولا شك أن قاموس المنجد من أخطر القواميس التى فى كل الأيدى والمحملة بالأخطاء، وخاصة فيما تحاول أن تدخله إلى الألفاظ العربية من مصطلحات كنسية وطائفية ولا هويته وهى ألفاظ ليست عربية أصلا فضلا عن أنه يفسرها تفسيرا لا

---

(١) المرجع السابق ص١٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٩.

(٣) سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية أنور الجندى ص ٢١ ط مكتبة التراث الإسلامى.

يتفق مع مفاهيم الإسلام مثل عبارة (جدف) وهو إصطلاح كهنوتى لم يذكره أهل اللغة، وكلمة "قدس، وقداس" وغير ذلك مما يورده الكهان النصارى[1].

٣ - الموسوعة العربية الميسرة:

وجهت إلى الموسوعة العربية الميسرة - التى قدم لها الأستاذ "شفيق غربال" انتقادات شتى وجملة ما قيل عنها أنها دائرة معارف أجنبية.

وقد ترجمت إلى اللغة العربية دون تقدير للتاريخ العربى الإسلامى وحقائقه، ودون تقدير حاجة الباحث العربى فهى لا تحمل مطلقا أى وجهة نظر عربية لما تناولته من موضوعات[2].

فإذا عرضنا للمواد الإسلامية وجدناها ضعيفة جدا وفاترة ومدرسية إلى أبعد حد ..... هذا بالإضافة إلى غلبة طابع السيطرة الصهيونية على المواد وخاصة فيما يتعلق بفلسطين وتاريخ الأديان.

وبالمقارنة بين مادة "مسجد" ومادة "مسرح" نجد أن المسجد قد كتب عنه خمسة عشر سطرا فى حين كتب عن المسرح (١٧٠) سطرا أما تصديرها لمادة شريعة ومادة صلاة ومادة صوم فهو تصدير بدائى وساذج.

هذا وتتنكر الموسوعة العربية المسيرة للسنة الهجرية تنكرا تاما فى كل ما أوردته من مواد إسلامية وخاصة فيما يتعلق بعصر النبى - ﷺ - والخلفاء الراشدين[3].

٤ - شمائل المصريين المحدثين:

يعد هذا الكتاب من أسوا الكتب التى وضعت للطعن فى أخلاق الإسلام فى المجتمع الإسلامى العربى، والحط من قدر حضارتهم ومجتمعاتهم ومهمتهم الأساسية،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سموم الاستشراق والمستشرقين فى العلوم الإسلامية أنور الجندى ص ٢٣ ط مكتبة التراث الإسلامى.

(٣) المرجع السابق ص ٢٤.

وقصد به مؤلفه التقاط كل ما يتعلق بالخرافات والأساطير والعادات وتلفيفها فى صورة زائفة، ويراد بها تقديم صورة للمجتمع المصرى وهى صورة ليس فيها شىء من الحق أو الإنصاف وليس فيها أى قدر من الصدق أو التحقيق العلمى[1].

٥ - يقظة العرب : لـ "جورج أنطونيوس":

ويعد هذا الكتاب من الكتب الخطيرة التى يجب الحذر من الاعتماد عليها فى كتابه تاريخ العرب والإسلام فى العصر الحديث، وقد أشار بعض المستشرقين ودعاة التعريب بالاعتماد عليه فأفسدوا كثيرا من أبحاث الباحثين[2].

٦ - تاريخ البشرية الثقافى والحضارى .

هذه الموسوعة صادرة عن منظمة اليونسكو وهى تتعلق بالجنس وتصوره الثقافى والعلمى والمترجمة إلى عدة لغات وتقرأ فى جميع أنحاء العالم[3].

وهذه الموسوعة تحمل فى طياتها صورة سيئة قذرة عن الإسلام والمسلمين والعرب[4].

٧ - مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث:

إن مفتاح كنوز السنة من تأليف المستشرق الهولندى "فسنك" والآخر عمل مشترك قام به عدد من المستشرقين تحت إشراف فسنك أيضا .

والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث يشمل كتب الستة المشهورة "صحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن النسائى، وسنن ابن ماجة، وسنن الترمذى وسنن أبو

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٣) الاستشراق والمستشرقون / عبد الجليل شلبى ص ٣ ط الشعب .

(٤) الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر د/ عدنان محمد وازن ص ١٧ دعوة الحق العدد ٢٤ يناير ١٩٨٤ م.

داود" بالإضافة إلى مسند الدارمى وموطأ مالك ومسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد تم نشره فى سبعة مجلدات ضخمة فى الفترة من عام ١٩٣٦ م حتى عام ١٩٦١م.

وفى الحقيقة أن هذه الدوائر الاستشراقية بإصدارها لهاتين الكتابين اكتسبت الثقة الكاملة لدى المسلمين حيث احتلت هذه المراجع مكان الصدارة بين مراجع المسلمين، بل أولوها عناية أكثر من مراجعهم فأقبلوا عليها دون تمييز ما فيها من خلط وتحريف وكان من أخطر ما جاء فى مادة "حديث" ومادة "سنة" تجريح مقذع للإسلام يفسد الحقيقة و وان هؤلاء الكتاب يقدمون الشبهات فى أساليب يعجز عهنا الشيطان، وهو الطعن على وجه أشد فى المصدر الثانى بعد كتاب الله، بل يوصفها البيان لكتاب الله فإذا جرى الاعتماد على مراجعهم كان هذا شديد الخطر على الإسلام، والأجيال القادمة ، فقد أدخل بكتابين كنوز السنة ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث أخبارا وتقريرا واهية مردودة نشرها فى الكتابين ، ودسها فى سياق الصحيح لتسوغ معه وتشتبه به وليستقر لدى العامة أنها من الثابت الوارد عن رسول الله - ﷺ- وهى فى مقاييس الحديث مما لا يصح نسبته إلى رسول الله - ﷺ- ومما يصل إلى درجة الشناعة وتبرأ منه السنة .

وكان ينبغى للدارس أن يعرض كل خبر على موازين مصطلح الحديث ليعرف الصحيح من غيره وينظر فى أقوال علماء الحديث فى أسانيدها ومتونها[1].

لذلك يقتضى الأمر ضرورة الاحتراس الشديد مما يكتبه المستشرقون والشك الملح فيما يأتون به من الآراء للأسباب الآتية :

(١) مجلة منار الإسلام العدد الثامن ١٤٠٩ هـ مارس ١٩٨٩ م ص ٨٠.

١- جميع المستشرقين هم تبع وزارة الخارجية فى كل البلاد القائمة على الاستعمار، مما يدل على إن مهمتهم سياسية وليست ثقافية، فإذا هم خدام الاستعمار، عن طريق تشكيك العالم الإسلامى فى عقيدة أهله.

٢- قلة فهمهم الصحيح للنصوص الإسلامية من قرآن وحديث.

٣- سوء نيتهم فى تصيد الآراء الضعيفة فى الكتب التى لا اعتماد عليها فى المصادر الإسلامية، أو خطؤهم فيما يتوصلون إليه من نتائج ، بسبب جهلهم بأحكام اللغة العربية والشريعة الإسلامية.

٤- إخفاء الأسانيد الصحيحة وتشويهها إذا وقعت تحت أيديهم.

كل هذه الأسباب كافية فى وجوب رفض أقوالهم والرد عليها وعدم الثقة فيما يسمونه بالتجديد والابتكار[1].

المبحث الثامن

افتراء المستشرقين على القرآن العظيم

إن القرآن العظيم هو تنزيل من الله العزيز الحكيم، وهو مصدر الإسلام، وكتاب المسلمين الأول، وهو الذى تقوم على أساسه عقائد الدين وشريعته، وهو ﴿لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2].

وهو الذى تحدى به فرسان البلاغة الفصاحة وأساطين البيان فعجزوا على أن يأتوا بعشر سورة من مثله أو سورة من مثله - إن كان هذا القرآن مفترى - ثم تحدى به الثقلين وما زال التحدى قائما على أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) التذبشير والاستشراق / الطهطاوى ص٤٩ - ٥٠ .

(٢) سورة فصلت آية ٤٢ .

ومن أجل ذلك اتجهت جهود المناهضين للإسلام قديما وحديثا إلى محاولة زعزعة الاعتقاد فى صحة القرآن وفى مصدره، وقد بذل المشركون قديما جهدهم فى مقاومة القرآن.

فزعموا انه: ﴿إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾[1].وزعموا انه ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[2].

وزعموا أن القرآن هو قول ساحر أو قول كاهن أو قول شاعر، وزعموا أن محمدا "يعلمه بشر".

وكان هدفهم من رواء ذلك إبطل القول بأن القرآن هو تنزيل من رب العالمين نزل به الروح الأمين "جبريل" إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - ﷺ-

ولقد تبع المستشرقون أسلافهم المشركين فى عداوتهم للإسلام وحقدهم على المسلمين، إذ يقول "وليم غيفورد بلغراف" الإنجليزى المسمى بالحرباء الكلمة المشهورة التى يتلخص فيها عداء الغربيين للإسلام "متى توارى القرآن و ومدينة مكة، عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربى يندرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعد عنها إلا محمد وكتابه[3].

ويقول "جلا دستون" رئيس وزراء بريطانيا مادام القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هى نفسها فى أمان[4].

---

(1) سورة الفرقان آية ٤.

(2) سورة الفرقان آية ٥

(3) الحضارة الإسلامية مقارنه بالحضارة العربية د/ توفيق يوسف الواعى ص ٧٠٥ ط دار الوفاء المتضورة.

(4) أضواء على الثقافة الإسلامية د/ نادية شريف العمرى ص ١٦٧ ط بيروت.

ومن أجل ذلك بذل المستشرقون المتحاملون على الإسلام محاولاتهم العديدة، وسعيهم الدؤوب وجهودهم المضنية، لبيان أن القرآن الكريم ليس وحياً من عند الله، وإنما هو من تأليف محمد - ﷺ - استقاه من اليهودية أو النصرانية أو بحيرى الراهب أو ورقة بين نوفل أو غير ذلك.

ومن المستشرقين الذين زعموا ذلك: جورج سيل حيث يقول فى مقدمة ترجمته الإنجليزية لمعان القرآن الكريم التى صدرت فى عام ١٩٣٦ م أما محمد كان فى الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع له فأمر لا يقبل الجدل، وإن كان من المرجح أن المعلومات التى حصل عليها من غيره فى خطته هذه لم تكن معاونه يسيره[١].

هكذا يقرر هذا المستشرق أن القرآن من تأليف محمد بل أنه يجزم القول بأن هذه القضية لا تقبل الجدال، لأنها حقيقة ثابتة فى نظره.

والمستشرق "فويلز" يتخيل أن محمدا رجلا دفعته طموحاته ووساوسه فى سن الكهولة إلى تأسيس دين ليعبد فى زمره القديسين فألف مجموعة من عقائد خرافية وآداب سطحية، وقام بنشرها فى قومه فاتبعها رجل منهم[٢].

ويقول المستشرق الفرنسى "رينان" إن الرسالة المحمدية امتدادا طبيعياً للحركة الدينية التى كانت سائدة فى عصر محمد دون أن تشمل هذه الرسالة على أى جديد[٣].

ويقول "أديسون" عن الرسول محمد - ﷺ - محمد لم يستطيع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن فى خياله منها إلا صورة مشوهه بنى عليها دينه الذى جاء به للعرب[٤].

---

(١) التبشير والاستشراق أحقاد وحملات للمستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوى ص ٥٤ ط الزهراء للإسلام العربى.

(٢) الإسلام والثقافة العربية فى مواجهة الاستعمار ص ٢٣٩ نقلا من صور الغزو الفكرى / سلطان عبد الحميد ص ٧٩.

(٣) المدخل إلى القرآن د/ محمد عبد الله دراز ص ٣٠.

(٤) التبشير والاستشراق د/ الطهطاوى ص ٥٤.

ويزعم "جولد تزيهر" إن المعرفة الدينية التى تلقاها محمد - ﷺ- ترجع إلى عنصرين خارجى وداخلى فيقول:

فتبشير النبى العربى ليس إلا مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التى تأثر بها تأثر عميقا، التى رآها جديرة بأن توقظ فى بنى وطنه عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التى أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت فى وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة فى اتجاه يريده الله.

لقد تأثر بهذه الأفكار تأثرا وصل إلى أعماق نفسه، وإدراكها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر التعاليم وحيا إليها[1].

تلك هى مجمل افتراءاتهم فهم يزعمون أن محمدا - ﷺ- هو مؤلف القرآن من نفسه وأنه تأثر باليهودية والمسيحية، ولكن هذا الإدعاء باطل لا يقوم على دليل أو سند علمى بل إنه يتنافى مع البحث العلمى.

وقد زعم بعض المستشرقين أن محمدا - تعلم القرآن من بحيرا الراهب أو من ورقة بن نوفل.

وأدلتهم على هذه الافتراءات أن الرسول - ﷺ- لقى بحيرا الراهب فأخذ عنه وتعلم منه ومن غيره، وما تلك المعارف التى فى القرآن إلا ثمرة هذا الأخذ وذاك التعلم، وسوف نفند هذا الإدعاء فيما يلى:

إن دعوة تأثر النبى - ﷺ- ببحيرا الراهب وورقة بن نوفل دعوى مجردة عن الدليل ومثل هذه الدعاوى لا تقبل ما دامت غير مثبته بالدليل القاطع، وإلا فليخبرونا بما سمعه الرسول - ﷺ- من بحيرا الراهب ومتى وأين كان؟

---

(1) العقيدة والشريعة فى الإسلام د/ جولد تزيهر ص ١٢ ترجمة يوسف مرسى وزميله ط مصر ١٩٤٨ م .

زد على ذلك أن التاريخ لا يعرف أكثر من أن النبى- ﷺ- سافر إلى الشام فى تجارة مرتين مرة فى طفولته ومرة فى شبابه، ولم يسافر غير هاتين المرتين، ولم يسمع من بحيرا ولا من غيره شيئا من الدين ولم يك أمره سرا بل كان معه عمه أبو طالب فى المرة الأولى، وفى الثانية كان معه ميسرة غلام السيدة خديجة -رضي الله عنها- التى خرج الرسول بتجارتها وكل ما هنالك كما روته كتب السيرة أن بحيرا الراهب رأى سحابة تظله من الشمس فذكر لعمه أنه سيكون لهذا الغلام شأن ثم حذره عليه من اليهود وقد رجع به عمه خوفا عليه[1].

ولم يثبت أنه سمع من بحيرا أو تلقى منه درسا واحد أو كلمة واحدة فى شىء ثم إن هذه الروايات نفسها تحيل أن يقف هذا الراهب موقف المعلم المرشد للرسول - ﷺ- لأنه بشر عمه بنبوته وليس بمعقول أن يؤمن رجل بهذه البشارة التى يزفها ثم ينصب نفسه أستاذا لصاحبها الذى سيأخذ عن الله ويتلقى عن جبريل ويكون هو أستاذ الأستاذين وهادى الهداه والمرشدين وإلا كان هذا الراهب متناقضا مع نفسه، وكما أنه لو كان بحيرا الراهب مصدر هذا الفيض الإسلامى المعجز لكان هو الأحرى بالنبوة والرسالة[2].

ولكن أخبرونا أيها المستشرقون لماذا أختار بحيرا الراهب هذا الصبى الذى لم يتجاوز عمره عشرة أعوام من بين كل القافلة لتعليمه الدين المسيحى؟ وكيف لصبى صغير أن يستوعب ديانة بأكلمها فى لقاء عابر لم يستمر إلا دقائق؟ ولماذا انتظر محمد ثلاثون عاماً بعد هذا اللقاء لإعلان دعوته؟ إن هذه القصة غير معقولة ولا مقبولة، وهذا ما دعا أحد المستشرقين لرفضها تماماً بوصفها قصة مختلقة من أساسها فقد قال

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الأول ص ١٦٧ ط دار الجيل بيروت لبنان .

(2) مناهل العرفان الزرقانى ج١ ص٤٢٢ .

المستشرق "هوارت" لا تسمح النصوص العربية التى عثر عليها ونشرت وبحثت منذ ذلك الوقت بأن ترى فى الدور المسند إلى هذا الراهب السورى إلا مجرد قصة من نسج الخيال"[1].

وما قيل فى بحيرا يقال فى ورقة بن نوفل فالروايات الصحيحة تثبت أن خديجة ذهبت بالنبى -ﷺ- حين بدأه الوصى إلى ورقة بن نوفل ولما قص الرسول عليه ما رأى قال: هذا هو الناموس الذى أنزله الله على موسى عليه السلام ثم تمنى أن يكون شابا فيه حياة وقوة ينصر بهما الرسول - ﷺ- ويؤازره حين يخرجه قومه، ولم تذكر الروايات أنه ألقى إلى الرسول موعظة أو درس له درسا فى العقائد ولا أن الرسول - ﷺ- كان يتردد عليه كما يتوهمون. ثم إن ما يدعيه المستشرقون من إفادة الرسول من اليهود والنصارى الذين أسلموا وكانوا فى صحبته من أمثال "سلمان وصهيب وعبد الله بن سلام" وغيرهم هو محض افتراء لأن فى إسلامهم حجة قائمة على صدق ما جاء به من الوحى الإلهى، ولو تبين لهم أنه كان يتتلمذ لهم فى خفاء ليتلقى عنهم ما كان يدعون إليه لأنفضوا من حوله ولعادوا إلى دينهم.

ولم تكن لهم تلك المنزلة الرفيعة فى الدعوة إلى الإسلام والزود عنه والإخلاص لرسوله - ﷺ- فإن ثباته فى المحن ومثابرته على مغالاة الكبر والعناد أول برهان قدمه للإنسانية على مدار التاريخ يشهد بصحة نبوته، وصدق رسالته، وهل سادت دعوات الكذابين والمشعوذين والدجالين الذين ادعوا النبوة.

---

(1) راجع: مدخل إلى القرآن الكريم د/ محمد عبد الله دراز ص ١٣٤ هامش ط دار القلم بالكويت ١٩٧١ نقلاً عن حقائق الإسلام فى مواجهة حملات التشكيك د/ محمود حمدى زقزوق ص ١٠ ط الخامسة ٢٠٠٥م.

ثم نقول المستشرقين الذين يفترون الكذب على الله ورسوله، إن القرآن العظيم أعمق وأوسع من كل المعلومات التى كانت لدى بحيرا الراهب وورقة بن نوفل ولدى اليهود والنصارى وغيرهم فى شتى بقاع الأرض للأسباب الآتية :

١- أن القرآن العظيم قد اشتمل على حقائق علمية لم يعرفها العلم إلا فى العصر الحديث[١].

وعلى سبيل المثال ما أشار إليه القرآن من مراحل تطور الجنين فى بطن أمه، وحقائق أخرى حول الأرض والشمس والكواكب والرياح والأمطار ... الخ فمن أين أتى محمد بذلك؟

لا يستطيع أحد أن يقول أنه قد استعان فى ذلك بمصادر مسيحية أو يهودية لأنها لا تشتمل على شيء من ذلك فهل يعقل أنه أتى بها من عند نفسه وهو الأمى الذى لم يحصل على أي قدر من التعلم.

٢- أن القرآن الكريم اشتمل على الكثير من التشريعات والتعاليم التى لا وجود لها فى كتب الديانات السابقة فضلا عن إحاطة بتفصيلات لأخبار الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

فقد اشتمل على أخبار الغيب الماضية مثل قصة موسى - عليه السلام- وفرعون عليه اللعنة وقصة إبراهيم ونوح ولوط وهود وصالح وداود وسلمان ويوسف

---

(١) راجع : دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة "القرآن الكريم التوراة العلم" موريس بوكاى ط دار المعارف ١٩٧٨ م .

(٢) سورة هود آية ٤٩.

وغيرهم عليهم السلام على تفاصيلها وطولها من غير سماع من أحد ولا تلقين من كتاب.

٣- العبادات فى الإسلام والتى جاء بها القرآن من الصلاة وصيام وزكاة وحج وتفاصيل هذه الشعائر وطريقة أدائها من الأمور التى لا نظير لها فى الديانات السابقة فالصلوات الخمس التى تؤدى بطريقة مخصوصة وفى أوقات معينة وبصيغ محددة، والصيام فى شهر رمضان من كل عام بالامتناع التام عن الطعام والشراب وجميع الشهوات من الفجر إلى غروب الشمس، والزكاة وطريقة أدائها ومصارفها وأنواع الزكاة، والحج وما يشتمل عليه من طواف ووقوف بعرفة وسعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار .... الخ أمور لا يشتمل عليها أى دين بالكيفية التى أتى بها الإسلام، وإذا كانت مقتبسه من أى دين فأين هو هذا الدين الذى جاء بمثل ذلك.

٤- أن النبى - ﷺ - تحدى بالقرآن ودعا إلى الإتيان بسورة مثله مصاقع البلغاء والفصحاء من العرب العرباء مع كثرتهم كثرة رمل الدهناء، وحصى البطحاء وشهرتهم بغاية العصبية والحمية الجاهلية وتهالكهم على المباهلة والمباراة والدفاع عن الأحساب وركوب الشطط فى هذا الباب فعجزوا حتى أثروا المقارعة[1] على المعارضة وبذلوا المهج والأرواح، فلو كان القرآن هو تلفيق من اليهودية والنصرانية أو من الثقافات الجاهلية ألم يكن فى استطاعة هؤلاء البغاء والفصحاء وأساطين البيان أن يأتون بمثله؟.

إن هؤلاء الجهابذه من الفصحاء والبلغاء وأدباء الكلمة قد علموا يقينا أن القرآن هو من عند الله و ولا يمكن معارضته لأنه اشتمل على أمور غيبية ماضية ومستقبلية

---

(١) المقارعة : الحروب والقتل .

وعلى دقائق العلوم الإلهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم الأخلاق والحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينية والدنيوية.

٥- أن القرآن اشتمل على معجزات غيبية مستقبلية لا يعلم عنها أحد شيئا من أهل الأرض جميعا وذلك مثل أخباره بما سيقع فى المستقبل، وقد جاء ذلك فى كثير من السور مثل قال تعالى: ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ * بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1]

قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[4] وقاله تعالى: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[6] وقوله تعالى:

---

(1) سورة الروم من آية ١: ٥.

(2) سورة الفتح آية ٢٠.

(3) سورة آل عمران آية ١٥١.

(4) سورة القمر آية ٤٥.

(5) سورة الفتح آية ١٦.

(6) سورة النور آية ٥٥

﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىَ وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىَ وَدِينِ الْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدّينِ كُلّهِ وَكَفَىَ بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[3] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنّ عَلَىَ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَـانَ بَعْضُـهُمْ لِبَعْـضٍ ظَـهِيراً﴾[4] وقولـه تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[5].

وهناك العديد من الأمثلة التى تؤيد مخالفة القرآن الكريم لما ورد من أخبار فـى كل من العهد القديم والجديد فهل استقى محمـد - ﷺ- معلوماتـه عـن القـرآن مـن مصادر يهودية وأخرى نصرانية كما يزعمون؟.

وهل كان كفار مكة يسكتون لو عرفوا أن محمدا استقى معلوماته مـن اليهوديـة أو النصرانية أو غيرهما؟.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن بعد ذلك كله؟ ونطرحه بدورنا علـى المستشـرقين ما المانع أن يكون القرآن وحيا أصيلا مأخوذ من النبع نفسه الذى أخذت منـه الديانـات السماوية الصحيحة؟ وما المانع أن يكون الإسلام هو الحلقة الأخيرة من حلقات الوحـى الإلهى الذى أقام الاتصال بين السماء والأرض على مدار تاريخ البشـرية الطويـل؟ لمـاذا تحرمون على الإسلام ما تبيحونه لليهودية والنصرانية؟ هـل هـو التعصـب الممقـوت أم

---

(1) سورة الفتح ٢٧

(2) سورة التوبة آية ٣٣.

(3) سورة الفتح آية ٢٨.

(4) سورة الإسراء آية ٨٨.

(5) سورة البقرة آية ٢٤.

الكراهية لهذا الدين الذى جاء مصححا لما طرأ على الديانات السابقة من أوهام وأباطيل ودعوة الناس إلى الحق والصراط المستقيم.

ثم نقول للمستشرقين الحاقدين على الإسلام ماذا أخذ الإسلام من المسيحية واليهودية المحرفتين هل أخذ من المسيحية المحرفة عقيدتها فى التثليث الواد نفيها فى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾[1] أم أخذ من المسيحية عقيدة الصلب الوارد نفيها أيضا فى قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَـهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً *بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[2].

أم أخذ من المسيحية القول بألوهية المسيح الوارد نفيها وبطلانها وبين أن عيسى - عليه السلام - لم يكن سوى رسول قال تعالى: ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَـى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ وما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىَ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[3].

وماذا أخذ الإسلام من اليهودية المحرفة هل أخذ منها الفضائح الجنسية التى يزخر بها العهد القديم أم أخذ منها افتراء اليهود على الله عز وجل والتى يشيب من هو لها الوالدان الرضع أم أخذ من اليهودية افتراءهم على الرسل والتى تتفطر منها القلوب.

---

(1) سورة المائدة آية ٧٣.

(2) سورة النساء آية ١٥٧ – ١٥٨.

(3) سورة النساء آية ١٧١.

إذا ذكرنا كل النصوص التى لدى اليهود فى ذلك الشأن فسوف يحتاج ذلك إلى مجلدات لذلك سوف يقتصر حديثا على الإشارة فقط إلى تلك النصوص.

أولاً افتراء اليهود على الله عز وجل:

١- افتراء اليهود أن الإله يتناسل وقد جاء ذلك فى سفر الخروج إصحاح رقم أربعة فقره ٢١، ٢٢، ٢٣.

٢- افتراء اليهود أن الإله بأنه يصيبه التعب والنصب والراحة انظر سفر التكوين إصحاح رقم اثنين فقره (٢ - ٣).

٣- افتراء اليهود أنهم رأوا الإله ولكنه لم يمد يده إلى إشراف بنى إسرائيل وقد جاء ذلك فى سفر الخروج إصحاح رقم أربعة فقره ٩ ، ١٠ ، ١١.

٤- افتراء اليهود أن قوة الإله تساوى قوة الإنسان وقد جاء ذلك فى سفر الخروج إصحاح رقم خمسة عشر فقره ٢ ، ٣.

٥- افتراء اليهود أن الإله يغضب ويفعل الشر ويندم وأنه يقبل النصح وأن موسى - عليه السلام - قد نصحه، وقد ورد ذلك فى سفر الخروج إصحاح ٣٢ فقره ٩ - ١٤ ، وأن إبراهيم الخليل من قبل نصح الإله عند هلاك قرية سدوم وأن الإله قبل نصح إبراهيم وقد ورد ذلك فى سفر التكوين إصحاح ١٨ فقره ١٧ - ٣٣ .

٦- افتراء اليهود أن الإله صارع يعقوب حتى طلوع الفجر وأن يعقوب أوشك أن يغلب الإله لو لا حركة مخالفة للأصول وهى أن الإله ضرب يعقوب على حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب، وقال الإله ليعقوب أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال يعقوب لا أطلقك حتى تباركنى فقال الإله ما اسمك فقال يعقوب فقال الإله لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل "وقد ورد هذا فى سفر التكوين إصحاح ٣٢ فقره ٢٢- ٣٢.

٧- افتراء اليهود أن الإله ينام ويستيقظ ويشرب الخمر وقد جاء ذلك فى سفر ذكريا إصحاح ٢ فقره ١٣ وسفر المزامير إصحاح ٧٨ فقره ٦٥.

٨- افتراء اليهود أن الإله يجهل بيوت اليهود ولا يقدر أن يميز بينها وبين بيوت المصريين وقد جاء ذلك فى سفر الخروج إصحاح ١٢ فقره ٢١ - ٢٤.

٩- افتراء اليهود على الإله بأنه يأكل ويشرب ويغتسل ويستريح وقد جاء ذلك فى سفر التكوين إصحاح ١٨ فقره من ١ - ٨.

١٠- افتراء اليهود على الإله بأنه يخاف من شعبه وقد ورد ذلك فى سفر القضاة إصحاح ٧ فقره من ٢ - ٧.

ونكتفى بهذا القدر من افتراءات اليهود على الإله والتى يشيب من هولها الولدان الرضع وتنفطر منها القلوب.

ثانياً: افتراء اليهود على رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين:

١- افتراء اليهود على نوح -عليه السلام- بأنه كان يسكر وكان يغرق فى السكر حتى الثمالة ولا يدرى بنفسه حتى تنكشف عورته ويفقد وعيه وقد جاء ذلك فى سفر التكوين إصحاح ٩ فقره من ٢٠ - إلى - ٢٧.

٢- افتراء اليهود على إبراهيم الخليل بأنه كان يتاجر فى عرضه وأنه نال بسبب ذلك خيرا وفيرا من فرعون وقد جاء ذلك فى سفر التكوين إصحاح ١٢ فقره ٤، ٥، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ٢٠.

٣- افتراء اليهود على نبى الله يعقوب عليه السلام فقد نسبوا له الكذب والنصب والاحتيال والسرقة، وانه سرق بركة أخيه البكر عيسو وقد جاء ذلك فى سفر التكوين إصحاح ٢٥ فقره من ١٩ إلى ٣٤، وإصحاح ٢٧ فقره من ١- إلى - ٤٥.

٤- افتراء اليهود على نبى الله داود عليه السلام فقد نسبوا له الاغتصاب والزنى والقتل والخيانة وعدم القدرة على تحمل المسئولية وقد جاء ذلك فى سفر صموئيل الثانى إصحاح ١١ الفقرة من ١ - ٢٦.

٥- افتراء اليهود على نبى الله لوط عليه السلام بأنه شرب الخمر وسكر وزنا بابنتيه وأنجب منها سفلحا الأولى أنجبت ولدا سمته مؤاب وهو أبو المؤابين، الثانية أنجبت ولدا سمته بن عمى وهو أبو بنى عمون إلى اليوم وقد ورد ذلك فى سفر التكوين إصحاح ١٩ فقره من ٣٠ - إلى - ٣٨ .

٦- افتراء اليهود على نبى الله سلمان عليه السلام بأنه إرتد فى آخر عمره وعبد الأصنام وبنى لها المعابد وأنه أحب نساء كثيرا وتزوج من نساء لا يحل له الزواج منهن وقد جاء ذلك فى سفر الملوك الأول إصحاح ١١ فقره من ١ - ١٠.

٧- افتراء اليهود على نبى الله عيسى عليه السلام بأنه ابن غير شرعى وأنه مجنون ومضلل وكاذب ومفسد بنى إسرائيل وقد وردر ذلك فى كتابهم التلمود وهو المصدر الثانى من مصادر الشريعة اليهودية[1] .

ثالثاً : الفضائح الجنسية فى العهد القديم

إن العهد القديم زاخرا بقصص الحب والغرام التى تدعوا إلى الدعارة والجنس وتهيج الشهوة وتدفع إلى معصية الله تعالى وقد ورد ذلك فى سفر نشيد الإنشاد إصحاح ١ فقره ٢ ، ٣ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، وإصحاح ٢ فقره ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، وإصحاح ٣ فقره ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، وإصحاح ٤ فقره من ١ إلى ٥ وفقره ١١، إصحاح ٥ فقره ٢ ، ٨ ومن فقره ٩ — إلى — ١٦ و وإصحاح ٧ فقره من ١ - ٩.

---

(١) فضح التلمود للكاهن أى بى برانايتس نقلا من الكنز المرصود فى فضائح التلمود/د/محمد عبد الله الشرقاوى ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٨ ، ط مكتبة الوعى الإسلامية .

ونكتفى بهذا القدر من نصوص العهد القديم، فهل بعد هذا يقال أن القرآن أخذ من اليهودية أو المسيحية شيئا أو أنه مزيج منها.

الحق يقال ليس هناك صله بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال ولا بين النور والظلام، إلا الحقد الذى يأكل القلوب ويذهب العقول، ويقلب حقائق الأشياء رغبة فى التشهير.

إن القران العظيم هو الذى أثبت تحريف التوراة التى جاء بها موسى، وأثبت تحريف الإنجيل الذى جاء به عيسى وأبطل العمل بها قال تعالى قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١).

والذى نخلص إليه من كل ما سبق أنه مما لا شك فيه ولا جدال أن القرآن الكريم هو وحى الله عز وجل نزل به الأمين من السماء على الأمين على الأرض قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (٢).

فالإسلام ليس دينا تابعاً لأى دين آخر، ولكنه الدين الذى أراد الله أن يكون خاتم الأديان قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ (٣) وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤).

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٢) سورة الشورى آيتان ٥٢، ٥٣.

(٣) سورة آل عمران آية ١٩.

(٤) سورة آل عمران آية ٨٥.

ونختم هـذا المبحث بشهادة الدكتور "موريس بوكاى" الطبيب الفرنسى الباحث يقول فى دراسة علمية كتبها بعنوان القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم.

لقد أثارت دهشتى هذه الجوانب العلمية التى يختص بها القرآن، والتى كانت مطابقة تماماً للمعارف العلمية الحديثة، ولقد درست هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم سابق ... وقد دفعنى ذلك إلى أن أتساءل، لو كان مؤلف القرآن إنساناً، فكيف استطاع فى القرن السابع من العصر المسيحى أن يكتب ما إتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة، ومن ذا الذى كان فى عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالى عشرة قرون ثقافتنا العلمية؟ حقاً أن فى إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة[1].

المبحث التاسع

افتراء المستشرقين على السنة النبوية

بعد أن حاول المستشرقين جهدهم التشكيك فى مصدر القرآن العظيم والتأكيد على بشريته تبع ذلك تشكيكهم فى المصدر الثانى للشريعة الإسلامية ألا وهى السنة النبوية فجمهور المستشرقين ينكر أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وأنه موحى إليه من عند الله جل شأنه وقد جند أعداء الإسلام لتشوية السنة النبوية ما جندوا من أقلام وكتب ومجلات وبحوث ندوات ومؤتمرات وصحافة وإعلام ...الخ ومجمل محاولات هؤلاء الحاقدين على الإسلام تتمثل فى الآتى:

١- الإدعاء بأن هناك أحاديث لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبى - ﷺ-.

٢- الإدعاء بان محاولة وجود شئ فى الحديث النبوى يمكن القطع بصحة نسبته إلى النبى صلى الله عليه وسلم تاريخياً محاولة فاشلة.

---

(١) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم/ موريس بوكاى.

٣- الإدعاء بان الفرق الإسلامية عندما اختلفت فى الآراء أخذ كل منها يضع لنفسه الأحاديث التى يؤيد بها رأيه .

٤- الإدعاء بان الأحاديث النبوية ليست إلا سجلاً للجدل الدينى فى القرون الأولى[١].

وأول مستشرق قام بمحاولة التشكيك فى السنة النبوية هو المستشرق اليهودى "جولد تسهير" والذى يعتبره المستشرقون أعمق العارفين بالحديث النبوى . إذ يقول: إن القسم الأعظم من الحديث النبوى جاء نتيجة لتطور الإسلام الدينى والتاريخى والاجتماعى فى القرن الأول والثانى الهجريين فالحديث أثر من أثار جهود المسلمين لأن ما وقع فى أيديهم من الحديث لم يكن ليسعفهم فى تحقيق أغراضهم فأخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها مرغوباً فيها ولا تتنافى والروح الإسلامية وبرروا ذلك بأنهم إنما يفعلون هذا فى سبيل محاربة الطغيان والإلحاد والبعد عن سنن الدين وكان محيط اختراعهم من أول الأمر موجها إلى مدح أهل البيت لسلب الأمويين سلطانهم بطريق غير مباشر[٢].

ومن المستشرقين الذين تطاولوا على الحديث النبوية الشريف المستشرق "ماكدونالد"[٣] حيث يقول فى دائرة المعارف الإسلامية: الآن نتكلم على الآراء التى أسندها الحديث إلى محمد - ﷺ- على أننا إذا حاولنا أن نجد فى الحديث ما نستطيع أن نقطع بصحة نسبه إليه من الوجهة التاريخية فإن عملنا هذا يكون لا غناء فيه على الإطلاق.

---

(١) الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام د/ على عبد الحليم محمود ص٣٩، ٤٠ ط جامعة الإمام ١٤٠١هـ .

(٢) الحديث والمحدثون محمد محمد أبو زهرة ص ٣٠٢ - ٣٠٣ ط دار الفكر العربى .

(٣) مستشرق أمريكى من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ومن كتبه تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام وكتاب الموقف الدينى والحياة فى الإسلام .

فمن الواضح أن هناك أحاديث كثيرة لا يمكن أن تكون قد صدرت عنه كما أننا لن نستطيع أن نعرف الأحاديث التى صدرت عنه حقاً.

ثم يستشهد بـ "جولد زيهر" على هذا الخلط والتشكيك فيقول وقد بين لنا "جولد زيهر" أن الأحاديث ليست فى الواقع إلا سجلاً للجدل الدينى فى القرون الأولى ومن ثم كانت قيمتها التاريخية لكن هذا السجل مضرب كثير الأغلاط التاريخية وفيه معلومات مضللة لم تؤخذ من مصادرها الأولى حتى إنه أصبح لا يصلح إلا لتكملة المصادر الأولى الأخرى وتوضيحها ولهذا ينبغى أن نوجز الكلام فى الأحاديث باعتبار أنها تعبر عن آراء محمد - ﷺ - أو آراء المسلمين فى صدر الإسلام ولا يقتصر الأمر على هذا فإن الأحاديث التى نجد فيها مشابهة لما ورد فى القرآن مشكوك فيها كذلك[1].

ومن افتراء المستشرقين أيضاً ادعاؤهم بأن حكام الدولة الأموية وضعوا الأحاديث التى تتفق مع ميولهم : وقد استغلوا لذلك الإمام الزهرى فى وضع الأحاديث ومنها حديث "لا تشد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد" وحديث "الصلاة فى المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه" ودليلهم على ذلك أن الزهرى كان صديقاً لعبد الملك بن مروان وكان يتردد عليه وأن الأحاديث التى وردت فى فضائل بيت المقدس مروية من طريقة الزهرى فقط، وكذلك قول الزهرى: أكرهنا هؤلاء الأمراء على أن نكتب أحاديث وقد جعله هشام مربياً لأولاده[2].

هذه هى مجمل شبهات المستشرقين حول السنة النبوية وهى تهجم لا يقوم على دليل ولا يستند إلى حجة إلا إذا اعتبرت الأوهام والظنون من الحجج والبراهين

---

(1) المرجع السابق ص ٢٥٥ .

(2) الحديث والمحدثون - محمد محمد أبو زهرة ص ٣٠٤ ط دار الفكر العربى .

وكلاهما أى الوهم والظـن لا يصلح أن يكـون حجـة أو دليـل فسـقط قولهـم وبطـل ادعاؤهم .

أما عن زعمهم بان هناك أحاديث كثيرة لا يمكن أن تكون قد صدرت عن النبى - ﷺ - أو زعمهم بان محاولة وجود شئ فى الحديث النبوى يمكن القطع بصحة نسبه للنبى محاولة فاشلة فإننا نقول لهـم إن التـاريخ يشـهد بـان الأمـة الإسـلامية هـى الأمـة الوحيدة من بين الأمم التى عاشت على الأرض فى ماضى البشر وحاضرهم بلذلـة مـن العناية فى حفظ أسانيدها ما لم تبذله أمة أخرى.

فالصحابة رضوان الله عليهم قد حرصوا على حفظ السنة النبوية ونقلها حيـث وضعوا لصحة الأحاديث وقبولها قواعد وشروطا تعتبر أقوى قواعد قام عليها علم النقد الإخبارى قديماً وحديثا فلقد نقدوا الأخبار من جهتين جهة السند ومن جهة المتن، وذلـك على أسس علمية صحيحة ولقد بلغ من حرص علماء الحديث وأئمته أنهم يسـتوثقون من حفظ كل راو بأن يقارن مروياته بعضها ببعض ويقارنوها بروايات غيره فإن وجـوده فيه خطأ حكموا بضعف روايته وردوها ولو كان تقيا عدلا، وذلك خشية أن تكون روايته دخلها السهو أو الخطأ وقد عنوا بنقد المتن ووضعوا لقبولـه شـروطا علـى رأسـها عـدم مخالفته العقل أو الحس أو القرآن أو السنة المتواترة فإذا لم تتوافر فى المتن هذه الشـروط كان الحديث مردودا.

فالأمر الذى لا مراء فيه أن علماء المسلمين قد اهتموا بجمـع الأحـاديث النبويـة ولم يفرطوا إطلاقاً فى ضرورة التدقيق الذى لا حد له فى رواية الحقائق فلقد كان لعلماء الحديث باع طويل فى نقد الرواة وبيان حالهم من صدق أو كذب، فقد وصلوا فـى هـذا الشأن إلى أبعد مدى فتتبعوا الرواه ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم.

ولقد اشترط البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث لصحة المتن والسند شروطا منها : أن يكون راوى الحديث مسلم بالغ عاقل غير مدلس[1] ولا مختلط[2] متصفا بصفات العدالة ضابطا لما يرويه أو محتفظا عليه سليم الذهن والحواس قليل الوهم سليم الاعتقاد وأن يكون إسناده متصلا غير مرسل ولا منقطع ولا منفصل وأن يكون متن الحديث غير شاذ ولا معلل فإن توافرت هذه الشروط فى السند والمتن كان الحديث صحيحا.

ويعلم جولد تسهير وغيره من المستشرقين ذلك حق العلم، ويعلمون أيضاً أن المسلمين بذلوا فى توثيق الحديث ما لم يبذله أحد من أتباع اليهودية أو النصرانية فى سبيل توثيق العهدين القديم والجديد.

أما عن زعمهم أن الحديث كان نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأولى الثانى الهجريين وما ذكره "جولد تسهير" من حديث عن طفولة الإسلام ونضوجه ... الخ فإن الواقع والتاريخ يكذب هذه المزاعم فقد انتقل الرسول - ﷺ- إلى الرفيق الأعلى بعد أن اكتمل الدين ونضج الإسلام قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[3].

فالحديث عن مرحلة نضوج الإسلام بعد وفاة النبى- ﷺ- حديث لا أساس له من الصحة، لأن النضوج قد تم بالفعل قبل وفاته - ﷺ-.

---

(1) المدلس هو الذى يروى عمن عاصره ما لم يسمع منه موصما أنه سمع منه .

(2) المختلط هو الذى طرأ عليه كثرة الغلط أو الخطأ بسبب كبر سنه .

(3) سورة المائدة آية ٣ .

أما إذا كان المراد بالنضوج هو تطور الفكر الإسلامى أو الفقه الإسلامى، فهو أمر أقره الإسلام حيث أباح الاجتهاد فى الفروع لا فى الأصول فإذا كان اجتهاداً خاطئاً فلصاحبه مع ذلك أجر واحد وإن كان اجتهاداً صائباً فلصاحبه أجران.

أما ما هذى به "ماكدونالد" فإننا نكتفى فى الرد على بما قاله أحد علماء المسلمين الأفاضل فى الرد على افتراء "ماكدونالد" حيث يقول: وقد عنى المسلمون بحفظ أسانيد شريعتهم من الكتاب والسنة ما لم تعنى به أمة قبلهم، فحفظوا القرآن وروه عن رسول الله - ﷺ- تواتراً آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً حفظا فى الصدور وإثباتاً بالكتابة فى المصاحف حتى رووا اوجه نطقة، بلهجات القبائل، ورووا طرق رسمه فى المصحف وألفوا فى ذلك كتبا مطولة وافيه وحفظ المسلمون أيضاً عن نبيهم - ﷺ- كل أقواله وأفعاله وأحوال وهو المبلغ عن ربه والمبين لشرعه والمأمور بإقامة دينه وكل أفعاله وأقواله بيان للقرآن وهو الرسول المعصوم والأسوة الحسنة[1].

أما افتراء المستشرقين وزعمهم بأن الإمام "الزهرى" كان يضع الأحاديث لبنى أمية فهو أيضاً كذب ومحض افتراء. وليس له دليل، والدليل على بطلانه أن أسانيد الأحاديث الصحيحة محفوظة فى كتب السنة ولا تجد فى حديث واحد من ألافها المؤلفة فى سنده عبد الملك أو يزيد أو الوليد أو غيره من رجال الدولة الأموية.

ثم إن مكانة الإمام الزهرى العلمية وثناء العلماء عليه وأثاره فى السنة تنأى به عن تلك التهمة، وقد أجمع كل الذين عاصروه وعاشروه بأنه كان من أذكى الناس وأشدهم حفظا كما أجمعوا على أنه من أتقى الناس وأصدقهم لهجة والإمام الزهرى لا يضره حقد الحاقدين فهو قطب السنة حيث قال فيه الذهبى: هو علم الحفاظ الإمام

---

(1) الغز الفكرى وأثره فى المجتمع الإسلامى ص ٥٠ د/ على عبد الحليم محمود ط دار البحوث العلمية .

الحافظ الحجة . وقال مكحول : ما بقى على ظهرها أعلم بسنة ماضية من الزهرى . وقال عمر بن دينار : ما رأيت أنضر وأبصر بالحديث من الزهرى[1].

ثم إن الحديث الذى زعم جولد تسهير أنه موضوع وأنه من تأليف الإمام الزهرى، فهذا القول قد جانب الصواب، فإن حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد" قد روى بطرق مختلفة غير طريق الزهرى وهو حديث صحيح فقد رواه البخارى عن أبى سعيد غير طريق الزهرى. ورواه مسلم من ثلاث طرق:

أحدهما: من طريق الزهرى.

وثانيهما: من طريق جرير عن ابن عمير عن قزعه عن أبى سعيد.

وثالثهما: من طريق ابن وهب عن عبد الحميد بن جعفر عن عمران عن ابن أبى أنيس عن سلمان الأغر عن أبى هريرة .

فالزهرى لم يتفرد برواية هذا الحديث، ولو إنفرد بروايته فهو فوق الشبهات فهو القائل عن نفسه والله لو نادى مناد من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت.

ثم إن الزهرى قد روى هذا الحديث عن سعيد بن المسيب وإن سعيد لم يكن يسكت لو أن الزهرى وضع هذا الحديث.

وأما قول الزهرى "أكرهونا على أن نكتب أحاديث" والذى استدل به جولد تسهير على ما ادعاه من استغلال الأمويين للزهرى لوضع الحديث، هذا النص فيه تحريف متعمد بقلب المعنى رأساً على عقب وأصله كما فى تاريخ ابن عساكر : أن الزهرى كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس ويظهر أنه كان يفعل ذلك ليعتمد الناس على ذاكرتهم وألا يتكلموا على الكتب فلما طلب منه هشام وأصر عليه أن يملى على

---

(1) السنة فى مواجهة الأباطيل – محمد طاهر حليم دعوة الحق سلسلة شهرية ربيع الأول ١٤٠٢هـ عدد ١٢ ص ٤٨، ٤٩.

ولده ليمتحن حفظه وأملى عليه أربعمائة حديث خرج من عند هشام وقل بأعلى صوته أيها الناس إنا كنا منعناكم أمراً قد بذلناه الآن لهؤلاء وإن هـؤلاء الأمـراء اكرهونـا علـى كتابة الأحاديث فتعالوا حتى أحدثكم بها فحدثهم بأربعمائـة حديـث. هـذا هـو النـص الصحيح لقول الإمام الزهرى[1].

والفرق بين الحديثين ظاهراً كالفرق بين الحق والباطل، ففى الحديث الذى ذكـره "جولد تسهير" يوهم بأن بنى أمية أجبروا الإمام الزهرى علـى أن يكتـب أحـاديث أى يؤلف من عنده ويخترع أقوال ثم ينسبها للنبـى - ﷺ- أمـا النـص الصحيـح هـو أن الزهرى كان يمتنع عن كتابه الأحاديث الواردة عن النبى - ﷺ- ثم بعد ذلك كتبها.

وقد رواه الخطيب البغدادى بلفظ آخر وهو "كنا نكره كتابه العلم - أى كتابته - حتـى أكرهنـا عليـه هـؤلاء الأمـراء فرأينـا أن لا نمنعـه أحـد مـن المسـلمين" أ هـ.

فانظركم الفرق بين أن يكون قول الزهرى، كما روى جولـد تسـهير "أكرهونـا على كتابة أحاديث" وبـين أن يكـون قولـه كمـا رواه المؤرخـون "اكرهونـا علـى كتابـة الأحاديث" او كما رواه الخطيب "على كتابة العلم" ثم إنظر إلى هذه الأمانـة العلميـة حذف (الـ) من الأحاديث فقلبت الفضيلة رذيلة ... حيث كان النص الأصلى يدل علـى أمانة الزهرى وإخلاصه فى نشر العلم، فلم يرض أن يبذل للأمراء مـا منعـه عـن عامـة الناس، إلا أن يبذله للناس جميعاً فإذا أمانة هـذا المستشـرق تجعلـه ينسـب للزهـرى أنـه وضع للأمراء أحاديث اكرهوه عليها، فأين هذا من ذاك[2].

([1]) السنة ومكانتها فى التشريع د/مصطفى السباعى ص ٢١٣ ط دار المكتب الإسلامى بيروت.

([2]) المستشرقون والتراث د/ عبد العظيم الديب ص ٣١.

ومن هذا يتبين كذب وافتراء المستشرقين على السنة النبوية المطهرة التى هى المفتاح الحقيقى لفهم القرآن الكريم، بل هى مفتاح الحضارة الإسلامية منذ أن أرسى رسول الله - ﷺ - أسس هذه الحضارة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإن العمل بمقتضى السنة النبوية هو المحافظة الحقيقة على كيان الإسلام نفسه وهو فى الوقت نفسه إحياء لحضارة الإسلام التى شملت كل مظهر من مظاهر الحياة الإنسانية الراشدة، وعالجت كل مشكلة تعترض سير الإنسانية نحو رشدها وهداها.

وإن إهمال العمل بالسنة النبوية أو التساهل فى شئ منها زلزلة لكيان الإسلام وتفويض لصرح حضارته، وليس لأعداء الإسلام فى الحاضر من هدف أهم ولا أكبر من تشويه هذه السنة وتشكيك المسلمين فيها أو فى جدوى التمسك بها عن طريق تكذيبها أو رميها بالتناقض أو التعارض أو التهوين فى شأن العمل بها.

وقد علق الدكتور مصطفى السباعى - رحمه الله - على افتراء المستشرقين على السنة النبوية حيث قال:

والذى حملهم على ركوب متن الشطط فى دعواهم هذه ما رأوه فى الحديث النبوى الذى اعتمده علماؤنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة، وهم لا يعتقدون بنبوة الرسول، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأمى بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى فالعقدة النفسية عندهم هى عدم تصديقهم بنبوة الرسول، ومنها ينبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم[1].

وأخيراً يمكننا القول من خلال التعامل مع دراسات المستشرقين أيا كان موقعهم أن هذه الدراسات بعيدة كل البعد عن الحيادية والعلمية والواقعية وأنها تخالف الأمانة العلمية، وأنها كتابات مغرضة هدفها القضاء على الإسلام.

---

(1) الاستشراق والمستشرقون د/ مصطفى السباعى ص ٢٢ .

المبحث العاشر

خلاصة البحث "النتائج والتوصيات"

أولاً: النتائج:

١- قد تبين مما سبق أن الفكر الاستشراق لا يلتزم بالبحث العلمى النزيه ولا الموضوعية ولا يقوم على منهج سليم وأنه يزيف الحقائق ويخلط بين الحق والباطل.

٢- يفتقد المرء الموضوعية فى كتابات معظم المستشرقين عن الدين الإسلامى فى حين أنهم عندما يكتبون عن الأديان الوضعية مثل البوذية والهندوكية يكونون موضوعيين فى عرضهم لهذه الأديان فالإسلام فقط بين كل الديانات التى ظهرت فى الشرق والغرب هو الذى يهاجم والمسلمون فقط من بين الشرقيين جميعاً هم الذين يوصفون بشتى الأوصاف الدنيئة.

٣- إن المستشرقين لم يحاولوا أن يطوروا من أساليبهم ومناهجهم فى دراستهم للإسلام فلم يستطيعوا أن يحرروا أنفسهم من الخلفية الدينية للجدل اللاهوتى العقيم الذى انبثق منه الاستشراق أساساً.

٤- الإسلام الذى يعرضه هؤلاء المستشرقين - المتحاملون على الإسلام - فى كتبهم هو إسلام من اختراعهم، وهو بالطبع ليس الإسلام الذى ندين به. كما أن محمدا الذى يصورونه فى مؤلفاتهم ليس هو محمداً الذى نؤمن برسالته وإنما هو شخص آخر من نسيج خيالهم المريض.

وهكذا يمكن القول بأن الاستشراق فى دراسته للإسلام ليس علماً يقاس بأى مقياس علمى، وإنما هو أيدلوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بغض النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزه على أوهام وافتراءات.

٥- يخلط الاستشراق كثيراً بين الإسلام كدين وتعاليم ثابتة فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة وبين الوضع المتردي للعالم الإسلامي في عالم اليوم فإسلام الكتاب والسنة إسلاما ميتا أما الإسلام الحيى فهو ذلك الإسلام بين فرق الدراويش فى مختلف الأقطار الإسلامية.

فهم لن يأخذوا الإسلام من مصادره الصحيحة "القرآن الكريم والسنة النبوية "وإنما صوروه من خلال حال المسلمين المتردى. وهم يعلمون جيداً أن المسلمين إنما وصلوا لتلك الحال لبعدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

ثانياً : التوصيات

١- يجب على علماء المسلمين فى شتى بقاع الأرض أن يتصدوا للتيار الاستشراقى بكل قوة وحزم، وإلا فسوف يتعرض المسلمون للانسلاخ والذوبان لا محالة، لأن المعركة بين الإسلام والاستشراق معركة هائلة جند لها المستشرقون كل المعاول التى تحاول أن تهزم المسلمين وتبعدهم عن دينهم.

لذلك فإن مواجهة التحديات الاستشراقية ضرورة لابد منها إذا كنا نريد الحفاظ على إسلامنا وقرآننا وسنة نبينا - ﷺ- وعقيدتنا وشريعتنا وحضارتنا وذاتيتنا وشخصيتنا ولغتنا.

٢- يجب أن يكون عند المسلمين استقلال فكرى وشعور بالشخصية الإسلامية واعتزاز بالقيم الحضارية والتراث الأصيل، وليس من الإنصاف أن يعتمد المسلمون فى معرفة تراثهم وعقيدتهم على ما أعده المستشرقون من كتابات.

٣- يجب أن تأخذ بالحذر والحيطة والتحفظ كما يأتى به المستشرقون حتى هذه الآثار التى اشتهرت بالإنصاف والاعتدال.

٤- يجب عمل موسوعة إسلامية للرد على المستشرقين وأن تترجم إلى جميع اللغات.

٥- لابد من عمل دائرة معارف إسلامية يضعها العلماء المسلمون تغطى حاجة الباحثين والدارسين، فدائرة المعارف الإسلامية التى وضعها المستشرقين لازالت هى المصدر الرئيسى لكثير من الكتاب وطلاب العلم فى كل مكان وهذا خطر يسمم الفكر ويعيب بالأصول والقواعد.

٦- يجب أن يكون تناولنا للاستشراق والكتابة مستمراً حتى يظل الناس على وعى من الخطورة المحدقة وعلى بينة لما يلقى فى الساحة من افتراءات وتضليل وتشويه وقلب الحقائق. فمهمتنا أن تستمر فى الكتابة والمواجهة حتى يعرف من لم يكن قد عرف.

٧- إن الاستشراق يستمد قوته من ضعفنا ووجوده نفسه مشروط بعجز العالم الإسلامى من معرفة ذاته، فالاستشراق فى حد ذاته كان دليل وصاية فكرية، ويوم أن يعى العالم الإسلامى ذاته، وينهض من عجزه ويلقى على كاهله أثقال التخلف الفكرى والحضارى يومها سيجد الاستشراق نفسه فى أزمة وخاصة الاستشراق المشتغل بالإسلام، ويومها لن يجد الجمهور الذى يخاطبه لا فى أوربا ولا فى العالم الإسلامى، ولا يجوز لنا أن ننتظر من غيرنا - أيا كان هذا - أن يساعدنا على النهوض من كبوتنا.

وإذا كان علينا أن نضع عن أنفسنا أغلال الوصاية الفكرية، فإن علينا من ناحية أخرى أن نتحرر من عقدة التخلف، التى تسيطر علينا فى جميع مناحى حياتنا، والتى تسد علينا منافذ الأمل فى الخروج من أزمتنا، فقد تحررنا من الاستعمار العسكرى، ولكننا لم نتحرر من القابلية للاستعمار، ولهذا فإن نظرتنا لكل ما يأتى من الغرب، هى نظرة التقدير والإكبار، حتى وإن كان هذا الذى يرد إلينا متمثلاً فى أزياء غريبة عن أذواقنا وتقاليدنا.

وحتى تكون فى مستوى الحوار الفكرى والتبادل المعرفى، وتوقف فعلاً الغزو الفكرى والاختراق الاستشراقى، لابد أن نكون قادرين على امتلاك الشوكة الفعلية، أن نكون قادرين على الإنتاج الفعلى لمواد ثقافية تمثل ثقافتنا ونأتى استجابة لها ونغرى الناس بها وبذلك وحده نكون فى مستوى الحوار، والتبادل المعرفى، فالمواجهة لا تكون بإدانة الآخرين، والنظر إلى الخارج دائماً وإنما تبدأ الحقيقة من النظر إلى الداخل أولاً لملء الفراغ بعمل بنائى مستمر، وتحصين الذات.

وأخيراً أذكر نفسى والمسلمين عامة وأقول للجميع إن أعداء الإسلام يتربصون بنا الدوائر. فأفيقوا من ثباتكم واستيقظوا لما يدبره أعداؤكم ضدكم فتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم - ﷺ - بها تسودون العالم كما ساده أجدادكم طيلة قرون عديدة شهد بها العدو قبل الصديق، وسجلها التاريخ فى صفحاته بمداد من ذهب لا تزال فيه إلى الآن وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه ترجعون.

وختاماً يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

والله تعالى أسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه أنه قريب مجيب -وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم-.

دكتور أحمد مصطفى على

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمنهور

(1) سورة التوبة آية ٣٢.

مراجع البحث

١- القرآن العظيم: "تنزيل من رب العالمين".

٢- الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام: د/ سعد الدين صالح ط: دار الأرقم ط ٨ .

٣- أساليب الغزو الفكرى: د/ على جريشه د/ محمد شريف ط دار الاعتصام .

٤- الإسلام والغرب: د/ محمود حمدى زقزوق ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

٥- أضواء على الاستشراق: د/ محمد عبد الفتاح عليان .ط: دار البحوث العلمية .

٦- أجنحة المكر الثلاثة التبشير الاستشراق الاستعمار: عبد الرحمن حبنكه.

٧- الاستشراق: إدوارد سعيد .

٨- الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر د/ عدنان محمد وازن سلسلة دعوة الحق رابطة العالم الإسلامى مكة المكرمة .

٩- الاستشراق الخلفية الفكرية للصراع الحضارى: د/ محمود حمدى زقزوق .

١٠- الاستشراق فى ميزان الفكر الإسلامى: د/ محمد إبراهيم الفيومى ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط القاهرة ١٩٩٤م .

١١- إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث: مالك بن نبى ط: بيروت .

١٢- الاستشراق والمستشرقون: عبد الجليل شلبى . ط: الشعب.

١٣- أضواء على الثقافة الإسلامية: د/ نادية شريف العمرى ط بيروت.

١٤- تاريخ الأدب العربى: أحمد حسن الزيات . ط: دار النهضة .

١٥- التبشير والاستشراق أحفاد وحملات للمستشار: محمد عزت الطهطاوى . ط: الزهراء .

١٦- الحديث والمحدثون: محمد محمد أبو زهرة . ط : دار الفكر العربى.

١٧-حضارة العالم الإسلامى: جوستاف لبون ترجمة عادل زعتر ط: الحلبى .

١٨- الحضارة الإسلامية: مقارنة بالحضارة العربية د/ توفيق يوسف الواعى ط دار الوفاء .

١٩- الدراسات العربية فى المانيا - ديتريش . ط : دار النشر.

٢٠- دائرة المعارف الإسلامية. ط : دار الشعب.
٢١-رسالة الجهاد - مالطا - عدد ٩٥ سنة ١٩٩١م.
٢٢- سموم الاستشراق فى العلوم الإسلامية: أنور الجندى. ط: مكتبة التراث الإسلامى.
٢٣- السنة فى مواجهة الأباطيل: محمد طاهر حليم دعوة الحق سلسلة شهرية عدد ١٢ سنة ١٤٠٢هـ.
٢٤- السنة ومكانتها فى التشريع: مصطفى السباعي. ط : المكتب الإسلامى بيروت.
٢٥-الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة العربية فى الأقطار الإسلامية: أبو الحسن الندوى . ط : دار القلم الكويت .
٢٦- صور استشراقية: عبد الجليل شلبى. ط: مجمع البحوث العلمية.
٢٧- العقيدة والشريعة فى الإسلام :-جولد زيهر - ترجمة يوسف موسى وزميه. ط : مصر ١٩٤٨.
٢٨- العهد القديم - كتاب اليهود ط: دار الكتاب المقدس.
٢٩- الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام: على عبد الحليم محمود ط : جامعة الإمام
٣٠- الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى: د/ أحمد عبد الرحيم السايح - هدية مجلة الأزهر عام ١٤١٤هـ .
٣١- فلسفة الاستشراق وأثرها فى الأدب العربى المعاصر: د/ أحمد سمايلوفتش. ط: دار المعارف.
٣٢- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار: د/ محمد البهى.
٣٣- قصة الحضارة ول ديورانت. ط: جامعة الدول العربية.
٣٤- القاموس المحيط - الفيروزآبادى. ط: الحلبى.
٣٥- الكنز المرصود فى فضائح التلمود: د/ محمد عبد الله دراز. ط: مكتبة الوعى الإسلامى.
٣٦- السيرة النبوية لابن هشام. ط: دار الجيل بيروت.

٣٧- لسان العرب ابن منظور. ط: دار المعارف.
٣٨- لمحات فى الثقافة الإسلامية: عمر عوده الخطيب.
٣٩- لما الاهتمام بالاستشراق: د/ شكرى النجار - مجلة الاتحاد العربى.
٤٠- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية مطابع الأوفست سنة ١٩٨٥م .
٤١- المستشرقون والتاريخ الإسلامى: على حسن الخربوطلى.ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٤٢- المستشرقون والآداب العربية : على العنانى مجلة الهلال. ط: عام ١٩٣٢ القاهرة .
٤٣- المستشرقون ما لهم وما عليهم: د/ مصطفى السباعى. ط: المكتب الثقافى بيروت.
٤٤- من صور الغزو الفكرى - التبشير الاستشراق العلمانية: د/ سلطان عبد الحميد سلطان ط الأمانة بالقاهرة .
٤٥- معاول الهدم والتدمير فى النصرانية والتبشير: إبراهيم سليمان الجهات. ط: عالم الكتب ط ٤.
٤٦- المستشرقون والتراث: د/ عبد العظيم الديب. ط: دار الوفاء بالمنصورة.
٤٧- مجلة منار الإسلام -العدد الثامن ١٩٨٩م.
٤٨- مناهل العرفان - الزرقانى. ط: دار إحياء الكتب العربية.
٤٩- المدخل إلى القرآن العظيم: د/ محمد عبد دراز.
٥٠- مختار الصحاح - الرازى. ط: دار القلم بيروت.